المشرق

السنة الخامسة والخمسون آذار – نيسان ١٩٦١

المسيح في الاسلام

بقلم ميشال الحايك
دكتور في اللاهوت، مجاز في الاداب
استاذ في الجامعة الكاثوليكية بباريس

تمهيد

لقد وافى الزمن الذي يجب علينا ان نلتقي فيه، ولكن على غير الصعيد الذي ظننا منذ اجيال ان كان لنا عليه موعد، وما كان لنا هناك غير الخيبة.

ان لم يكن بيننا سوى هذه الرقعة الجغرافية الواحدة التي تضمنا، وهذه اللغة الواحدة التي بها نتداول، وهذا الشطر الواحد

من التاريخ الذي صنعناه وقطعناه معاً ، فقد حتم علينا التلاقي والاخاء .

منذ ثلاثة عشر قرناً والنصارى يعيشون الى جانب المسلمين ، والمسلمون الى جانب النصارى ، توسع اولئك على حساب هؤلاء ، وبات هؤلاء يتحينون الفرصة لاسترجاع ما غنم اولئك منهم عنوة او صلحاً . فكانت هذه الثروة التقليدية التي ورثناها من الجدود ولا نزال نتوارثها ، ثروة الجهل والعنف ، وكانت هذه الاعماق التي تفصل الآن ما بيننا .

ولم يبخل التاريخ على الاثنين بمواعيده ، فقد التقوا مراراً عديدة في ساحاته وعلى مفترقاته ولكنهم لم يتعارفوا الا قليلاً ولم يتصافوا الا نادراً ، وظلوا اخوة غرباء في بيت ابيهم ابراهيم .

وكان اول ما التقوا علناً يوم غادر محمد نبي المسلمين مكة ، وفيها فتنة على دين جديد ما جاء ليخالف الموحدين من النصارى واليهود ، بل لينذر بالعقاب امة جعلت الصنم العيّ رباً لها . كانت الفتنة على المؤمنين الاولين بدين الاسلام فهجرهم نبيهم الى بلد الاحباش النصارى فوجدوا هناك لدى النجاشي ، سيد اقصوم ، موئلاً يقيهم ، في ساعة البؤس ، ظلامات بني قومهم . فحلوا مكرمين على سعة في ظل المليك . ولما خمدت الفتنة في مكة رجع المهاجرون الاولون ، ومنهم من طاب له المقام هناك فظل مقيماً . وحين قضى النجاشي حتفه صلى محمد على نفسه في البقيع معلناً الحداد الاسلامي الاول على نصراني مات .

ولقد لاقى محمد لدى المسيحيين في مكة والمدينة ، في بدء هجرته ، اخلاصاً في الولاء وقياماً بالعهد ، فاحبهم بدوره حباً لا غش

فيه، وحفظ القرآن آيات كانت صدى تلك المودة الاولى: «ولتجدن أقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى، ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون».

ولكن هذا التلاقي لم ينزل صوب الاعماق، بل بات سطحياً، اذ ان المسيحيين، قبيل الهجرة، في الجزيرة العربية كانوا جماعة مبعثرة الشمل من اناس قليلي العدد، خاملي النسب، لا تجمع بينهم الروابط الدينية ولا يوحد امرهم اولئك القسيسون والرهبان الذين ذكرهم القرآن. بل كانوا بالاحرى قوماً فرقت بينهم النزعات الدينية والعرقية والتجارية، جاء البعض منهم من سوريا ليقوموا بحرفات وضيعة، كالحجامة او بيع الزيوت والخمور في جزيرة العرب وهي آنئذ «ارض البؤس والجوع.» والبعض الآخر، وهو اكثر عدداً، قدم من افريقيا، ومن هؤلاء كان بلال، مؤذن النبي، ومارية القبطية التي اعطت محمداً قرة العين، ابراهيم، الطفل الوحيد الذي قضى صغيراً. ومعظم هؤلاء الاحابيش كانوا يجندون للذود عن مكة، وقت رحلات القوافل او اذا طرأت الغزوات؛ فان زال الخطر الطارئ انتزع منهم السلاح، وعادوا فباعوا حرياتهم لاشراف مكة الوثنيين لقاء الاسودين، التمر والماء. وقد حكم صاحب كتاب الاغاني ان «لا خير فيهم ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زنوا».

وهؤلاء لم يعرفوا من دينهم المسيحي سوى جهلهم به، ولم يمارسوا شعائره الا بالشكل الذي عيّرهم به الامام علي، الا وهو تحليل شرب الخمرة. ولكنهم احتفظوا من عقيدتهم بقصص غريبة اوردتها الاناجيل المنحولة او الموضوعة، فكرّم البعض منهم مريم

وقربوا لها التقادم والقرابين كأنها الهة « من دون الله » . وكان لمريم بين اصنام الكعبة تمثال يصورها وابنها عيسى « قاعداً مزوقاً » في حجرها ، كما ذكر الكلبي في « كتاب الاصنام . » وما نكران الوهية المسيح في القرآن سوى غضبة على اولئك المسيحيين الذين تبرأ منهم الحقيقة المسيحية ، والذين كرموا مريم نظير « الصاحبة » قرب الله ، في هيا كل الاوثان .

فلم يكن بوسع النبي ان يلتقي بالعقيدة المسيحية على حقيقتها . واذ حانت له فرصة في ذلك اذا بالنتيجة تجيء فاشلة . فما ان هاجر النبي الى المدينة حتى اصطدم باليهود اولاً فاخضعهم قبيلة بعد اخرى معملاً السيف في رقاب ذكورهم مستبيحاً البعض من نسائهم للمهاجرين والانصار او جالياً العاجزين والعاجزات منهم خارج الجزيرة . ثم كان له اصطدام اخير مع القبائل المسيحية اليعقوبية التي كانت تحمي النفوذ في الشمال ، على طريق القافلات الداخلة ارض بيزنطية . فكانت غزوة تبوك ومؤتة اللتان اسفرتا عن فشل المسلمين . فجاءت آيات في القرآن معاصرة لهذه الاحداث التاريخية المعروفة ، وهي آيات مرة على المسيحيين . وكانت بعد ذلك المباهلة ، اي دعوة الله على الكافرين ، بين النبي ووفد مدينة نجران . ولقد اوسع محمد حينذاك مكاناً للنجرانيين فصلوا صلاة الفصح في اول جامع اسلامي ، في « المدينة المنورة » سنة ٦٣١ .

ومات النبي وانتشرت دعوة الاسلام صوب الشمال ضاربة في البلدان السريانية المسيحية الخاضعة لسلطان بيزنطية. وكانت القبائل المسيحية تكره قيصر الروم لتعسفه ، فساروا في مقدمة الغزاة

المسلمين على سوريا ، وقد ذكر بهذا شاعرهم النصراني في حضرة الخليفة : « لما رأونا والصليب طالعاً ومارسرجيس وسما ناقعاً .. » وكانت في زمن الامويين الاولين اخوّة يجب ان تعاش من جديد .

ولكن ما عتم الامر حتى ادرك المسيحيون ان آية القرآن سوف تطبق عليهم بالحرف الكتابي ، فهم أهل الذمة وعليهم « ان يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون » . فبدأت تسوء بهم الحال ، فنهم من اسلموا ومنهم من قبعوا في زوايا الشرق ، وما لهم من هم سوى الحفاظ على تراث دينهم .

وحلت الحروب الصليبية ، وقد فسدت غاياتها الدينية ؛ واذ قاربت بين الشرق والغرب ، تركت وراءها رصيداً من التباعد والتباغض لم يشف الاثنان منه تماماً حتى يومنا هذا .

ثم دُكّت اسوار القسطنطينية سنة ١٤٥٣ فانهارت روائع لا تحصى ؛ وكان الفتح العثماني سنة ١٥١٦ ، وكلها انتصارات سجلها الاسلام في تاريخه ، وانطوى ، الا من بعض الصفحات ، سفرُ المسيحية من هذه البلدان التي أُزيل ، الا عن بعض قبابها ، الصليب .

***

من هذه اللمحة الخاطفة يبدو ان المسيحية والاسلام التقيا سياسياً وجغرافياً ؛ ومن ثم كان تفاعل بين الاثنين اعطى جنى طيّباً في عالم الثقافة ؛ ولكن السياسة والثقافة مهما طابت نتائجها لن يكونا سوى عرض في العلاقات الاسلامية المسيحية . وانما الجوهر هو اعمق من ذلك ، هو في الاحتكاك العقائدي المحض بين الديانتين على ضوء الاصول الثابتة .

لا ننكر على الذين سبقوا جهدهم في طرح المشكلة على هذا الاساس . ولن يفضي بنا الغرور الى الاعتقاد باننا اول من يقوده تفكيره بامور هذا الشرق الى البحث بالشؤون الدينية التي ما برحت، بالرغم من المتنكرين لها، جذور مجتمعاتنا . ولسنا اول من يشاء باخلاص ان يحاول ايجاد حل مقتبس من اصول الدين لمشكلة هذا المجتمع ليتمكن ابناؤه من العيش آمنين في رضى ربهم وظلال وطنهم . ولو جئنا نعدد المحاولات السالفة لطال بنا الحديث وقادنا البحث الى الاجيال الدارسة فتهنا وتاه معنا القارئون . اذ انه، منذ ظهور الاسلام،بدأت المسألة تثار من هذا الجانب ومن ذاك الجانب، ولا يزال بنا الامر على هذا النحو،نتناساه في يومياتنا الهزيلة وتضرّ علينا الاحداث من حين لآخر فنذكره في ساعات الفواجع .

لتكفنا، هنا ايضاً، لمحة عجلاء، ونستنتج منها، هنا ايضاً، رصيد الفشل بعد جولة في آثار من كتبوا لهذا الموضوع .

منذ يوحنا الدمشقي المتوفى في منتصف الجيل الثامن الى يومنا الحاضر تتوالى كتابات المسيحيين عن المسيحية والاسلام . فكان في الشرق والغرب خاصة،امس واليوم،رجال اهتموا بالامر فاختلفت آثارهم على اختلاف اطوارهم واوطانهم ونزعاتهم،فانقسموا قسمين : واحد يدافع عن الاسلام دفاعاً مغرضاً إما لالحادهم واعتقادهم بان الديانات نتيجة النشوء الاجتماعي، فلا فرق بينها اذ انها على السواء من صنع الناس، وإما للطعن غير المباشر بالمسيحية التي عنها مرقوا .

اما القسم الاكبر فقد سقطوا في النقيض الثاني حين وصفوا

الاسلام بانه بدعة حوت الشرور باسرها قام بها راهب زنديق ؟ ورسموا للنبي صورة مجحفة فاصبح اسطورة تناقلتها في الاجيال الوسطى السنة العامة وكتابات الخاصة .

ولم يتخلف المسلمون عن المسيحيين في هذا المضمار فصوروا عن النصارى اشنع صورة ولم يحجم رجل عرف بتدينه وهدوء اعصابه مثل الغزالي ، عن اعلانها شريعة هذيان وسخافة . وما ادراك ما قال الجاحظ وابن حزم وابن تيمية وغيرهم من سنيين وشيعيين وحنابلة ومعتزلة وظاهريين ...

وفي الواقع قليلون هم الذين كانوا من بين المؤلفين مؤمنين عن غير تعصب ، بارين بالعلم عن غير هوس . ولا بد من الاعتراف بان الموضوع شائك وان خطر الهوى الاعمى يترقب كل معالج لهذه القضايا التي تلاقي لدى الكثير من المسيحيين والمسلمين حساسية متوقدة تجعل من كل بحث مثل هذا ضرباً من المغامرة بالسمعة والمجازفة بالذات . ولكن الامر اجل من ان تقف هذه الاعتبارات الشخصية حاجزاً دونه . ولكي لا ترتفع من هنا وهناك اصوات التناقض والشكوى ، فضلنا قبل الاقدام على عرض ما توصلنا اليه من استنتاجات علمية ، ان نباشر عرض النصوص ذاتها فنضعها بين يدي القارئ مع ذكر مصادرها القريبة والبعيدة كلما امكننا ذلك .

اما هذه النصوص فتختلف قيمتها حسب اهمية كاتبها ووزنه ومدى تأثيره في العالم الاسلامي . وان مؤلف الفصل الاول هو الله نفسه في عقيدة المسلمين ، اذ ان القرآن كلام الله . ولذلك افردنا له فصلاً خاصاً لكيلا يدخل في روع احد ان كل ما قيل بين دفتي هذا

الكتاب سواء بسواء قيمة وتأثيرا .

اما النصوص التالية فاهمها الاحاديث التي اجمع على صحتها المسلمون فاقاموا لها وزناً خاصاً بجانب القرآن ودونها الجامعون في كتب الحديث من صحيح ومسند وسنن للبخاري ومسلم وابن ماجه وابي داود الطيالسي والنسائي والترمذي (وهو غير الحكيم الترمذي صاحب كتاب « نوادر الاصول »). ويلتقي بهم ابن حنبل والهندي والقرطبي .

اما ما تبقى من المؤلفين، مؤرخين او مفسرين او صوفيين، فقيمة كتاباتهم ترتكز على قيمتهم الفردية ومدى فعاليتهم في تفكير المسلمين . فليس السمرقندي كالغزالي وابن العربي، من بين الصوفية، وليس الكسائي كالطبري وابن خلدون في معرفة التاريخ.

وهذه النصوص شاء جامعها ان يضعها في متناول المسيحيين ليعلموا عن الاسلام غير ما تنشره الجرائد في مواسم معينة تعليلاً لقارئيها ان بين الديانتين اتفاقاً ووحدة تامة . ولست ادري هل خطر ببال احدهم ان عند علماء المسلمين مثل هذه الآثار المدهشة في بعض الاحيان . لقد آن لهم ان يعرفوا على الاقل ان الاسلام لم يخطر له يوماً ببال، حتى في اقسى ساعاته على المسيحية، ان يجدف على قدسية المسيح، روح الله وكلمته، وان يقذف مريم بمثل ما قذفها به اليهود في تاريخهم . فقد احاط المسلمون باكرام كل مواطن الاكرام لتلك التي سوّدها الله على جميع امائه وجعلها سيدة نساء العالمين فكرموها في كل بلد خلفوا فيه المسيحيين، في كنائس نجران والحيرة وطرطوس وانطاكية والقسطنطينية والمغرب ...

واستقبلوا تمثالها بالتهليل يوم مر على ضياع لبنان، سنة ١٩٥٤ .

وهذه النصوص شاء جامعها ايضاً ان يضعها في متناول المسلمين نفسهم لكي يعرفوها اذا كانوا يجهلونها او يذكروها اذا كانوا نسوها. فصليب المسيح الذي عنه يعرضون، اذ لا يليق بروح الله ان يصلب، يجد له مقاماً كريماً عند بعض المفكرين والفلاسفة والمؤرخين الصارمين منهم، حتى لم يربأ احدهم، في قصة رائعة اسمها « قرية ظالمة »، ان يبدأ كتابه بيوم الجمعة، وهو في اعتقاده يوم مشهود معاصر لنكبات البشرية المتجددة كل يوم : فان فيه اراد الناس ان يقتلوا الضمير الانساني وان يطفئوا نوره، والمسيح هو هذا الضمير وهذا النور.

ولا بد من الاشارة الى حقيقة تيقنت منها في تجوالي بين الصفحات الضخام التي كتبها المؤلفون المسلمون، في الكلام او التفسير او التاريخ او التصوف، الا وهي ان الاسلام لم يطرح يوماً واحداً على نفسه مشكلة العقيدة المسيحية الصرف. لقد جازها قبل ان تعرض لها، وحلها قبل ان تشكل عليه. فبقيت آية القرآن على شرطها فلم يعط عنها جواب علمي : « لو كان لله ولد فانا أول العابدين. » اذ ان هنالك توالداً عقلياً هو غير التناسل، فالكلمة هي وليدة الفكر الازلي. كذا المسيح ابن الله.

فان هنالك إذن فرضاً قاطعاً على عنق المسيحيين وهو ان يقبلوا على تفهم الدين الاسلامي باخلاص لمعتقد الغير وانفتاح على ما بينه وبين المسيحية من قربى؛ وان يقبلوا بعد ذلك على اظهار حقيقة دينهم لاخوانهم المسلمين بلغة عربية مبينة، فيتكون من ذلك ادب

مسيحي عربي يجني منه كل واحد ، مهما كانت عقيدته ، ثمار الخير والوفاق وانهم دون شك واجدون عقائد وتقاليد ثابتة تؤمّن للجميع ثروة الاخوّة التي لا تعادلها غنائم الخصومات مهما عظمت ... وما خلا هذه الرجعة الى الاصول الدينية باطلًا نسعى الى العيش بامان ، اذ ان حلول السياسة والثقافة مهدئات خادعة . وفي زحمة هذه الاعاصير الهابة على العالم من كل حدب وصوب ، لا بد للمؤمنين بالله ابراهيم من ان يقفوا صفاً واحداً للدفاع عن قضية الله التي هي قضية الانسان. وقد زعم الزاعمون ان مشكلة الانسان اليوم هي اقتصادية او سياسية او تطاحن على نفوذ روحي . والحق ان الانسان اليوم اكثر منه في تاريخه الغابر يبحث عن معبود ، وان التطاحن العالمي ، في دنيا الاقتصاد والسياسة والثقافة ، ليس سوى عوارض سطحية ظاهرة للاصطدام الباطني العميق بين الايمان والكفر ، بين الخير والشر ، بين الله والشيطان . ولقد آن ان يلتقي المؤمنون بالخير وبالله الذي هو الخير الاكبر .

لم يغرب عن بالنا يوماً ان بين الاسلام والمسيحية عقبات عقائدية كأداء لا يمكن ان يذللها التفاهم مهما تجرد الداعون اليه . ولا يكفي ان يتصافح الاثنان لتزول النقائض . وليس غير الجاهلين باساسات العقيدتين من يعللون انفسهم بالوصول الى هذه الغاية . لقد قام في الشرق والغرب رجال قالوا بضرورة ازالة الفروق ومزج الديانتين في عقيدة اخرى لا يمكن ان تكون سوى صنيعة ممسوخة لصنّاع خائبين . فكل محاولة نهجت هذا السبيل فسدت وافسدت

وكانت وبالًا وبلاء. وذلك لان الفوارق بين الديانتين تغور حتى الجذور العميقة.

فالاسلام يقوم على الايمان باله لم يعلن سر ذاته لاحد ولن يستطيع احد ان يكتنه اغواره الهائلة. على « قاب قوسين » منه وقف محمد ليلة معراجه، حسب القرآن؛ ولم يعط للبشر من معرفتهم له سوى جهلهم به، حسب احد الصوفيين. فبين العبد والمعبود هوة عميقة الغور لا يقطعها انسان. فليس اذًا على العبد الا التسليم او الاسلام للارادة التي لا تحتكم الا الى ذاتها فتهدي من تشاء وتضل من تشاء.

ولا تقلّ المسيحية عن الاسلام تنزيهاً بالله حين تعلن ان الله لا يدركه المحدود البشري، ولكنها توقن ايضاً ان الله اوحى هو ذاته ذاتَه وسرَّ وجوده، فذاته محبة. وهذه المحبة لا تُدرك، اذ ان بها تجسدت كلمة الله في ناسوت المسيح فاصبح الله قريباً للانسان في شخص الوسيط بين الله والانسان، في المسيح.

فعلى المسيح كان الاختلاف: هو صخرة الشك التي بها يصطدم الناس جميعاً وعليه يقتتلون لو يعلمون. كذا كان الامر منذ ألفي سنة، بين معاصريه في اورشليم، وكذا كان الامر من بعده في التاريخ، وسيكون كذلك الى انتهاء الزمان، حين ينزل من السماء للحكم الاخير: « سينزل بينكم ابن مريم حكماً مقسطاً ... فيملأ الارض عدلًا كما مُلئت جورًا ».

على هذا الحديث اجمع المسلمون والمسيحيون وهم على انتظار « الحاكم يوم الدين ». فالى عدله النهائي يصرخ المظلومون طالبين

الانصاف وقد طال عليهم الجور . هي الصيحة بالحق التي تتعالى اليه من هنا وهناك ، في المسيحية والاسلام ؛ هي اصوات الفقراء الخافتة وقد خنقها التهريج السياسي وصخب المدنية الحديثة وضجيج معادن التسلح التي بلغ تهديدها بالافناء حد الشمول . وتلك الاصوات عند فقراء الاسلام ونساك المسيحية المجهولين ، هي صلوات تخترق السحب لتصل حتى العرش تظلّماً الى الله واحتكاماً الى امره الازلي . « بدا الاسلام غريباً وسيعود كما بدا ، فطوبى للغرباء ! » انها الهجرة القصوى صوب اورشليم الثانية العلوية بهداية المسيح بن مريم البتول الحصينة . « فطوبى لعيش بعد المسيح ! »

ميشال الحايك

المصادر

لم نذكر بين هذه المصادر سوى ثلاثة من المفسرين وهم البيضاوي والرازي والالوسي ؛ وذلك لان نصوص المؤرخين خاصة تغني في اغلب الاحيان عن ذكر العديد من الشارحين، ولاننا لم نشأ الدخول في التآويل التي قد تصيب القارئ بالملل حين لا تأتي بفتح علمي او عقائدي جديد. ولم نذكر الا النادر (محمد كامل حسين مثلاً في كتابه «قرية ظالمة» (القاهرة ١٩٥٥) من المؤلفين الحديثين الذين عرضوا قضية المسيح، والا لاكرهنا على نقل مؤلفات عديدة بكاملها مثل «عبقرية المسيح» للعقاد (القاهرة، ١٩٤٣)، «ونظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام» لمحمد زاهر الكوثري (القاهرة، ١٩٤٢) «واقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان» لعبد الله الصديق الغماري (القاهرة ١٩٤٣) «والمسيح عيسى بن مريم» لعبد الحميد جودة السحار (القاهرة، ١٩٥٩) وغيرهم ؛ ولاجبرنا ايضاً على اعادة نشر المقالات والقصائد الحولية العديدة التي تظهر في اعداد الجرائد والمجلات الخاصة بالميلاد. وفي كل هذا شهادة على المستوى الذي يركز فيه المسيح في تفكير الاسلام العربي في يومنا. فاذا كنا اهملنا هذه المؤلفات، لاجل حداثتها لا حكماً منا على اهميتها، فاقد أغضينا ايضاً عن ذكر القديمة منها في كل مرة جاء فيها الجدل الديني عنيفاً، وكم يعنف الجدل في مثل هذه الاحوال. ولكننا عازمون على طرح الموضوع من جديد في كتاب كبير سيصدر باللغات الثلاث : العربية والفرنسية

والانكليزية ، محاولين فيه عرض القضية كلها على ضوء العلم البعيد عن الهوى خدمة لمجتمعنا الاسلامي ـ المسيحي ، ورفقاً منا بالدين يصبح تجارة المفرقين بيننا من الخارج او الانتهازيين منا في الداخل.

اما المراجع المسيحية فهي تكاد تُرَدّ جميعها الى الاناجيل الموحاة والمنحولة ، وقد نُشرت في الغرب على اساس علمي راهن في لغاتها الاصيلة القديمة ابتداء من اليونانية والسريانية الى العربية واللاتينية والارمنية والقبطية...ولكننا رجعنا ايضاً من حين لآخر الى الموسوعات المسيحية وفيها مؤلفات علماء الكنيسة ، كما رجعنا الى التلمود اليهودي وفيه شروح الربانيين على التوراة ، لنبش الآثار المشتركة بين أهل الكتاب وأهل الاسلام. وهكذا فاننا حين نقابل بين النصوص فنقول ان هذا مأخوذ او منقول عن ذاك ، ليست غايتنا ان نظهر فضل هذا على ذاك بل فضل الله على الجميع ، اذ ان كل خير مقول او مفعول هو منه سبحانه وتعالى. وقانا الله شر ما لا نريد ووفقنا الى الخير الذي في سبيله نسعى.

المصادر الاسلامية

القرآن الكريم = طبعة بولاق ، ١٣٥٨ .

البخاري - الجامع الصحيح ؛ ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٦ ؛ وطبعة كرهل (Krehl) ، ٣ اجزاء ؛ ليدن ، ١٨٦٢-١٨٦٨ ، والجزء الرابع طبعة جونبول (Juynboll) ليدن ، ١٩٠٧ .

مسلم = الصحيح ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٢٩٠ .

ابن ماجه = السنن ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٣ .

النسائي = السنن ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٢ .

الطيالسي = المسند ؛ حيدرباد ، ١٣٢١ .

ابن حنبل = المسند ؛ ٦ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٣ .

الهندي = كنز العال في سنن الاقوال والافعال ؛ ٨ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٣ .

ابن عبد البر القرطبي = مختصر جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ؛ القاهرة ، ١٣٢٠ .

السيوطي = كتاب اللآلي المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣١٧ .

» = الاعلام بحكم عيسى عليه السلام ؛ المخطوطة العربية لمكتبة باريس الوطنية ، عدد ٥٨٨٦ .

عبد الوهاب الشعراني = مختصر تذكرة الامام القرطبي ؛ القاهرة ، ١٣٠٨ .

» = لواقح الانوار القدسية ؛ القاهرة ، ١٣٢١ .

» = الطبقات الكبرى ؛ جزءان ، بولاق ، ١٢٨٦ ؛ القاهرة ، ١٣١٥ .

» = اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر ؛ القاهرة ، ١٣٢١ .

» = لطائف المنن والاخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الاطلاق ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣٢١ .

البيضاوي = انوار التنزيل واسرار التأويل ؛ جزءان ، القاهرة ١٣٥٥ .

الرازي = مفاتيح الغيب ؛ ٦ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٧٨/١٨٦٢ .

الالوسي = روح المعاني ؛ ٣٠ جزءا ، القاهرة ١٩٢٧ .

ابن هشام = سيرة الرسول ، طبعة وستنفلد (Wüstenfeld) .

الحلبي = انسان العيون في سيرة الامين والمأمون ؛ ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٢ .

الطبري = تاريخ الرسل والملوك ؛ ١٣ جزءا ، طبعة ده غويه (De Goeje) .

ابن الاثير = الكامل في التاريخ ؛ طبعة تورنبرغ (Tornberg) .

اليعقوبي = تاريخ ؛ طبعة هوتسما (Houtsma) :

ياقوت الحموي = معجم البلدان ؛ ٦ اجزاء ، طبعة وستنفلد .

البيروني = الايام الباقية عن القرون الخالية ؛ طبعة ساخو (Sachau) .

المسعودي = مروج الذهب ومعادن الجوهر؛ طبعة باربيه ده ماينار (Barbier de Meynard).
ابن خلدون = المقدمة ، الجزء الاول من كتاب العبر ... ؛ القاهرة ، دون تاريخ .
الكسائي = قصص الانبياء ، طبعة ايسنبرغ (Eisenberg).
الثعلبي = قصص الانبياء المسمى عرائس المجالس ؛ القاهرة ، ١٣٧٠ / ١٩٥١ .
ابن القوطية = تاريخ الاندلس ؛ طبعة مدريد ، دون تاريخ .
الامير تغري بردي = النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
ابن سيده المرسي = كتاب المخصص ؛ ١٧ جزءا ، القاهرة ، ١٣٢١ .
ابن حزم = الفصل في الملل والنحل ؛ ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٧ — ١٣٢٠ .
الجاحظ = كتاب البيان والتبيين ؛ ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٧/١٩٤٨ .
» = كتاب المحاسن والاضداد ؛ لاهاي ، ١٨٩٨ .
ابن عبد ربه = العقد الفريد ؛ ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٢٩٣ .
ابو حامد الغزالي = كتاب احياء علوم الدين ؛ ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١٢ .
» = مختصر احياء علوم الدين ، على هامش نزهة الناظرين للشيخ عبيد الضرير ؛ القاهرة ، ١٣١٧ .
» = كتاب مكاشفة القلوب المقرب الى حضرة علام الغيوب ، المختصر من مكاشفة القلوب الاكبر المنسوب للامام الغزالي ؛ القاهرة ، ١٣٠٠ .
» = فاتحة العلوم ؛ القاهرة ، ١٣٢٢ .
» = كتاب التبر المسبوك في نصيحة الملوك ؛ القاهرة ، ١٣١٧ .
» = رسالة الغزالي الى ملكشاه في العقائد ؛ القاهرة ، ١٣٢٥ .
» = الجواهر الغوالي . من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالي ، تشتمل على : الادب في الدين ، ايها الولد ، فيصل التفرقة ، القواعد العشرة ، مشكاة الانوار ، رسالة الطير . الرسالة الوعظية ؛ القاهرة ، ١٣٤٣ .
» = فرائد اللآلي من رسائل الغزالي . تشتمل على : معراج السالكين ، منهاج العارفين ، روضة الطالبين وعمرة السالكين ؛ القاهرة ، ١٣٤٤ .
» = الدرة الفاخرة ؛ طبعة غوتيه (Gautier) .
» = منهاج العابدين ؛ القاهرة ، ١٣١٣ .
مرتضى الحسيني الزبيدي — اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين؛ ١٠ اجزاء ، القاهرة ، ١٣١١ .
ابن منصور الحلاج = راجع ماسينيون ، مجموعة نصوص :
L. Massignon, *Recueil de textes inédits...*; Paris, 1929.
ابن العربي = الفتوحات المكية ؛ ٤ اجزاء ، بولاق ، ١٢٦٩ — ١٢٧٤ .
» = كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار ؛ جزءان ، القاهرة ، ١٣٠٥ .
» = فصوص الحكم ، مع شرح القاشاني ؛ القاهرة ، ١٣٠٩ .
» = عنقاء مغرب ، القاهرة ١٣٥٣ .

القاشاني = شرح على فصوص الحكم ؛ القاهرة ، ١٣٠٩ .
الجامي = نقد النصوص في شرح فصوص الحكم ، بولاق ، ١٣٠٦ .
ابو طالب المكي = قوت القلوب في معاملة المحبوب؛ ٤ اجزاء، القاهرة ، ١٣٥١/١٩٣٢ .
ابو نعيم الاصبهاني = كتاب حلية الاوليا؛ ١٠ اجزاء، القاهرة ١٣٥٤/١٩٣٥–١٣٥٧/١٩٣٨ .
عبد الكريم الجيلي = كتاب الانسان الكامل في معرفة الاوائل والاواخر ؛ المخطوطة العربية لمكتبة باريس عدد ٦٥٩٦ .
الحكيم الترمذي = نوادر الاصول ؛ القاهرة ، ١٢٩٣ ،
» = كتاب الترمذي ؛ مخطوطة مكتبة الاسكوريال عدد ١٨٦٠ .
ابن العريف = كتاب محاسن المجالس ؛ مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس ، عدد ٦٦١٤ ،
السهروردي = كتاب عوارف المعارف للعارف بالله ، على هامش احياء علوم الدين للغزالي ؛ القاهرة ، ١٣١٢ .
عبد القادر الجيلاني = كتاب الغنية لطالبي طريق الحق ؛ جزءان القاهرة ، ١٣٢٢ .
ابو الليث السمرقندي = قرة العيون ومفرح القلب المحزون ؛ على هامش مختصر تذكرة الامام القرطبي للشعراني ؛ القاهرة ، ١٣٠٨ .
» = تنبيه الغافلين ؛ القاهرة ، ١٣٢٦ .
ابو القاسم القشيري = الرسالة القشيرية في علم التصوف ؛ القاهرة ، ١٣١٨ .
عبيد الضرير = نزهة الناظرين ، القاهرة ، ١٣١٧ .
اخوان الصفا = رسائل ، ٤ اجزاء ؛ القاهرة ، ١٣٤٧ / ١٩٢٨ .
ابو بكر الطرطوشي = سراج الملوك ؛ القاهرة ، ١٢٨٩ .
ابو سعيد الخركوشي = تهذيب الاسرار ؛ مخطوطة مكتبة برلين الملوكية ، عدد ٢٨١٩ .
عبد الغني النابلسي = هتك الاسرار ؛ مخطوطة المكتبة الخديوية ، عدد ٣٢٦٥ .
ابو حيان التوحيدي = رسالة في الصداقة والصديق ؛ اسطنبول ، ١٣٠١ .
ابن الجوزي = كتاب الاذكياء ؛ القاهرة ، ١٣٠٤ .
الماوردي = كتاب الاحكام السلطانية ؛ القاهرة ، ١٢٩٨ .
الدميري = حياة الحيوان الكبرى ، جزءان ؛ القاهرة ، ١٣١٠ .
ابو الحجاج البلوي = كتاب الف باء ، جزءان ؛ القاهرة ، ١٢٨٧ .
ابن جهضم الهمداني = بهجة الابرار ومعدن الانوار في مناقب السادة الاخيار من المشايخ الابرار ؛ مخطوطة دمشق ، مجموع ٦٤ .
اليافعي = روض الرياحين في حكايات الصالحين ؛ القاهرة ١٣١٥ .
الحريفيش = الروض الفائق في المواعظ والرقائق ؛ القاهرة ، ١٣٢٨ .
محمد كامل حسين = قرية ظالمة ؛ القاهرة ، ١٩٥٥ .

المصادر المسيحية

الكتاب المقدس ، في عهديه العتيق والجديد .

الموسوعة اليونانية : Patrologia Graeca ; éd. Migne.

الموسوعة الشرقية : Patrologia Orientalis; éd. Graffin-Nau

انجيل طفولية سيدنا ، نسخة اسحق بن ابي الفرج بن النفيس المتطبب ؛ مخطوطة المكتبة اللورنسية في فلورنسا ، تحت عدد ٣٢ لمجموعة Codex orientalis .

Brunet (G.), *Les Evangiles Apocryphes*. Paris, 1863.

Daïetsi (I.), *Livres apocryphes du Nouveau Testament*. Venise, 1898.

Dunlop Gibson (M.). *The Commentaries of Isho'dad of Merv*. Volume II. *Matthew and Marc in Syriac*. Cambridge, 1911 — Horae Semiticae, N°. VI.

Fabricius (J.A.). *Codex apocryphus Novi Testamenti*. Hambourg, 1719.

Hennecke (E.), *Neutestamentliche Apocryphen*: 2 vol., Tubingue, 1904.

Michel-Peeters, *Evangiles apocryphes* : I, Paris, 1911.

Peeters (P.), *Evangiles apocryphes*: II, Paris, 1914.

Révillout (E.). *Etudes égyptologiques*. fasc. 7. *Apocryphes coptes du Nouveau Testament* . Paris 1876.

Sike (H.), *Evangelium Infantiae, vel liber apocryphus de Infantia Servatoris* ; Traiecti ad Rhenum, 1697.

Thilo (J.C.), *Codex apocryphus Novi Testamenti*. t. I. Leipzig, 1832.

Wallis Budge (M.E.A.). *The History of the Blessed Virgin Mary and the History of the Likeness of Christ* : 2 vol., London, 1899.

الفصل الاول

المسيح في القرآن

المسيح في القرآن

في القرآن مائة وأربع عشرة سورة بلغ عدد آياتها ستة آلاف ومائتين وستاً وعشرين آية (أو ٦٢٤٦ ، أو ٦٦١٦ آية تختلف حسب العلماء) . ولقد ورد اسم المسيح في خمس عشرة سورة ، في ثلاث وتسعين آية . فالى هذا المصدر الاول ينقاد عفواً تفكير الباحثين عن علاقة المسيحية بالاسلام وعن مركزها في « دين التوحيد ». لقد أوسعنا لهذه النصوص فصلاً خاصاً بها نظراً لاهميتها ، فهي في عقيدة المسلمين كلام الله المنزل لفظاً ومعنى على قلب محمد من لوح محفوظ في السماء ، صورة عربية مبينة عن اصلها الاول في «امّ الكتاب». الى هذه الآيات يرجع التفكير الاسلامي كلما اعترضه اسم المسيح. فكل ما كتب العلماء المسلمون في هذا الموضوع كان تفسيراً الكلام الكتاب استعانوا لاجله احياناً بالنصوص المسيحية فتقبلوا منها بسهولة أخوية كل ما كان بوسعهم معرفته وقبوله . ولكنهم رفضوا دوماً محاولة التوفيق بين الانجيل والقرآن حيث ظهر تناقض بين الكتابين ، فقالوا بتحريف الانجيل كلما ناقض نصه القرآن.

ولقد رتّبنا هذه الآيات مستندين الى ما توصل اليه العلم بين البحاثين من ذوي الاستشراق . وغايتنا أن نظهر فكرة القرآن في

تدريجيا عندما تعرض العقيدة المسيحية . فهي في الآيات الاولى المكية كثيرة الحنان على النصارى ، تفيض بالنعومة على مسيحهم ورهبانهم وقسيسيهم . ولكنها في آخر عهد النبي ، في المدينة ، تصبح شديدة الوطأة فتتنكر للنصارى ويبدو أنها ترفض رفضاً قاطعاً ألوهية المسيح .

وان وراء هذا التحول أحداثاً تاريخية معروفة أهمها فشل النبي في غزوتيه ضد نصارى تبوك ومؤتة ومباهلته مع وفد نجران .

وهنالك سبب ديني بحت يدور حول مشكلة وحدانية الله . وقد بدا لمحمد أن الثالوث الذي يقر به النصارى يهدد هذه الوحدانية التي يقوم عليها الاسلام. ولكن هذا الثالوث الذي يتنكر له القرآن هو غير ما تؤمن به النصرانية في توحيدها ، فهو مركب ثلاثي ، يشبه الثلاثية الوثنية التي قاومها محمد ، مؤلف من الله والصاحبة ، مريم ، والولد ، عيسى ، وهذا ما لم يقل به النصارى ابدًا . ولم تزل المشكلة عالقة ، حول هذا الامر ، الى اليوم الذي تجد فيه انصارًا يطرحونها من جديد على ضوء العلم المجرد الصافي .

بشارة زكريا بيحيى المعمدان

ذكرُ رحماتِ ربّك عبدَه زكريّا .
اذ نادى ربَّه نداءً خفيًا .
قال ربِ إنّي وهنَ العظمُ منّي واشتعل الرأس شيبًا ولم أكن بدعائك ربِ شقيًا .
واني خفتُ الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرًا فهبْ لي من لدنك وليًا .

يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً .
يا زكريا إنَّا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبلُ سمياً .
قال ربِ أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرًا وقد بلغتُ من العمر عتياً .
قال كذلك قال ربكَ هو عليَّ هيّن وقد خلقتُك من قبلُ ولم تكُ شيئاً .
قال ربِ اجعلْ لي آية قال آيتك ألا تكلمَ الناس ثلاث ليالٍ سوياً .
فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم أن سبحوا الله بكرةً وعشياً .
يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً .
وحناناً من لدنَّا وزكوةً وكان تقياً .
وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصياً .
وسلام عليه يومَ وُلد ويومَ يموت ويوم يُبعث حياً[١] .

... وزكريا اذ نادى ربه ربِ لا تذرْني فردًا وأنت خير الوارثين .
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه — انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهَباً وكانوا لنا خاشعين[٢] .

... وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌ من الصالحين[٣] .

هنالك دعا زكريا ربه قال ربِ هبْ لي من لدنك ذرية طيبةً إنك سميع الدعاء .
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أنَّ الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبياً من الصالحين .
قال ربِ أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكِبَر وامرأتي عاقر، قال كذلك الله يفعل ما يشاء .
قال ربِ اجعلْ لي آيةً قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيام ألا رمزًا واذكرْ ربك كثيرًا وسبح بالعشيّ والابكار[٤] .

١) سورة مريم، ١٩: ٢—١٥ . ٢) سورة الانبياء، ٢١: ٨٩—٩٠ ٣) سورة الانعام، ٦ : ٨٥ ٤) سورة آل عمران، ٣ : ٣٨ — ٤١

بشارة مريم

واذكرْ في الكتاب مريم إذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً .
فاتخذتْ من دونهم حجاباً فأرسلنا اليها روحنا فتمثّلَ لها بشراً سوياً .
قالت إني اعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً .

قال انما انا رسول ربك لأهبَ[٥] لك غلاماً ذكياً .

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً .
قال كذلك قال ربكِ هو عليّ هيّن ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان امراً مقضياً .
فحملته فانتبذتْ به مكاناً قصياً .

الميلاد

فأجأها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً .
فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً .
وهزّي اليك بجذع النخلة تُساقطْ عليك رُطَباً جنياً .
فكلي واشربي وقرّي عيناً فإمّا تريِنَّ من البشر احداً فقولي إني نذرتُ للرحمن صوماً فلن اكلّم اليومَ انسياً .
فأتتْ به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً فرياً .
يا أخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً .
فأشارتْ اليه قالوا كيف نكلّم مَن كان في المهد صبياً .

---

٥) اجمع علماء المسلمين على قراءة « لأهب » عوض « ليهب » . فالقراءة الاولى تفترض تدخلاً مباشراً من قبل الله في إنشاء عيسى يشتم منه « التبني » الذي يرفضونه رفضاً قاطعاً ؛ واما الثانية فهي تفترض الملاك واسطة بين الله ومريم ؛ وهذا ما أقره المسلمون جميعاً دون ابن حزم ؛ العالم الظاهري الذي جزم بان لا مجال للجدل بين القراءتين ما دام خالق عيسى هو الله ذاته لا نفخ الملاك ؛ راجع كتاب الفصل بين الملل والنحل .

قال إني عبدالله آتاني الكتابَ وجعلني نبياً .
وجعلني مباركاً أين ما كنتُ واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمتُ حياً .
وبَرّاً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً .
والسلام عليَّ يومَ وُلدتُ ويومَ أموت ويومَ أبعث حياً .
ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون .
ما كان لله ان يتخذ من ولدٍ سبحانه اذا قضى امراً فانمـا يقول له كن فيكون[٦] .

علم للساعة

ولما ضُرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدّون .
وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلاً بل هم قوم خصمون .
إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل .
ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكةً في الارض يخلفون .

وانه لَعِلْمٌ[٧] للساعة فلا تمترُنَّ بها واتبعوني هذا صراط مستقيم .

ولا يصدنّكم الشيطانُ إنه لكم عدوٌ مُبين .
ولما جاء عيسى بالبيّنات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون .
ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .
فاختلف الاحزاب من بينهم فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يومٍ أليم[٨] .

وجعلنا ابنَ مريم وامّه آيةً واويناهما الى ربوةٍ ذات قرار ومعين[٩] .

---

٦) سورة مريم ' ١٩ : ١٦-٣٥ ٧) « لَعِلْمٌ » وهناك قراءة اخرى مشهورة يفضلها البعض وهي « لَعَلَمٌ » أي علامة ' وقرأ أُبَيّ « لَذِكْرٌ » راجع الطبري والبيضاوي في تفسيرها هذه الآية . ٨) سورة الزخرف ' ٤٣ : ٥٧-٦٥ ٩) سورة المؤمنون ' ٢٣ : ٥٠

والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين[١٠].

شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به أبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ...[١١].

لقد آتينا موسى الكتابَ وقفّينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون[١٢].

قولوا آمنّا بالله وما أُنزل الينا وما أُنزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أُوتي موسى وعيسى وما أُوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون[١٣].

تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعضٍ منهم من كلّم اللهُ ورفعَ بعضهم درجاتٍ وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد[١٤].

ميلاد مريم — سيرة المسيح

ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآلَ ابراهيم وآلَ عمران على العالمين.
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.
اذ قالت امرأة عمران ربِ إني نذرت لك ما في بطني محرّرًا فتقبّلْ مني إنك انت السميع العليم.
فلما وضعتها قالت ربِ إني وضعتُها أُنثى والله اعلم بما وضعتْ وليس الذكر كالانثى وإني سمّيتُها مريمَ وإني أُعيذها بك وذريتَها من الشيطان الرجيم.
فتقبّلها ربُّها بقبولٍ حسنٍ وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها

١٠) سورة الانبياء، ٢١ : ٩١ ١١) سورة الشورى، ٤٢ : ١٣ ١٢) سورة البقرة، ٢ : ٨٧ ١٣) سورة البقرة، ٢ : ١٣٦ ١٤) سورة البقرة، ٢ : ٢٥٣

زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب[١٥] .

واذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين .

يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .

ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون .

اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين .

ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين .

قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرًا فانما يقول له كن فيكون .

ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل .

ورسولًا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرًا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى بأذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين .

ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون .

ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم .

فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا

١٥) سورة آل عمران ٣ : ٣٣-٣٧

وجاعل الذين اتّبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .
فأما الذين كفروا فأعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين .
واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين .
ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم .
إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .
الحق من ربك فلا تكن من الممترين .
فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنات الله على الكاذبين .
ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم .
فإن تولّوا فان الله عليم بالمفسدين .
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله . . .[١٦] .

قد آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوبَ والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين احدٍ منهم ونحن له مسلمون[١٧] .

لقد ارسلنا رسلنا بالبينات . . .
ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيمَ وجعلنا في ذريتهما النبوّةَ والكتابَ فمنهم مهتدٍ وكثيرٌ منهم فاسقون .
ثم قفّينا على آثارهم برسلنا وقفّينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيلَ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعَوها حقّ رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرَهم وكثير منهم فاسقون[١٨] .

١٦) سورة آل عمران، ٣: ٤٢-٦٤ ١٧) سورة آل عمران، ٣: ٨٤ ١٨) سورة الحديد، ٥٧: ٢٥-٢٧

واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه احمد[١٩] فلما جاءهم بالبيِّنات قالوا هذا سحر مبين[٢٠] .

يا ايها الذين آمنوا كونوا انصارَ الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَن انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرتْ طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين[٢١] .

... وبكفرهم[٢٢] وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً .

وقولهم إنَّا قتلنا المسيحَ عيسى بن مريم رسولَ الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم. إلَّا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً .

بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً .

وإن من اهل الكتاب إلَّا ليُؤمننَّ به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً[٢٣] .

إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده، واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن وآتينا داود زبوراً[٢٤] .

ثالوث او ثلاثة؟

يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحقّ انما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمتُه ألقاها الى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون

---

١٩) احمد اسم آخر لمحمد تفسيره في رأي بعض المسلمين كتفسير البارقليط أي الروح القدس الذي وعد به المسيح قبل صعوده، في عقيدة النصارى . ٢٠) سورة الصف، ٦١: ٦

٢١) سورة الصف، ٦١: ١٤ ٢٢) «هم» ضمير يعود الى بني اسرائيل. ٢٣) سورة النساء، ٤ : ١٥٦-١٥٩ ٢٤) سورة النساء، ٤ : ١٦٣

له ولد له ما في السموات وما في الارض وكفى الله وكيلًا .

لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعًا[٢٥]

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً[٢٦] .

ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين[٢٧] .

وقالت اليهودُ عُزَيْرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبلُ قاتلهم الله أنى يؤفكون .
اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أُمروا الا ليعبدوا الهاً واحدًا لا اله إلا هو سبحانه عما يشركون[٢٨] .

لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيحَ بن مريم وأمّه ومن في الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير .
وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فَلِمَ يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشرٌ ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير .
وقفّينا على إثرهم[٣٠] بعيسى بن مريم مصدِّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدِّقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين .
وليحكم اهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون[٣١] .

---

٢٥) سورة النساء ، ٤ : ١٧١–١٧٢ ٢٦) سورة الاحزاب ، ٣٣ : ٧ ٢٧) سورة التحريم ، ٦٦ : ١٢ ٢٨) سورة التوبة ، ٩ : ٣٠–٣١ ٢٩) سورة المائدة ، ٥ : ١٧–١٨
٣٠) على اثر انبياء بني اسرائيل . ٣١) سورة المائدة ، ٥ : ٤٦–٤٧

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النارُ وما للظالمين من انصار .

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالثُ ثلاثةٍ وما من آلهٍ إلّا آلهٌ واحدٌ وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسَّنَّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليمٌ .

أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم .

ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمُّه صدّيقة كانا يأكلان الطعامَ انظر كيف نبيّن لهم الآياتِ وانظر أنى يؤفكون .

قال أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً والله هو السميع العليم .

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غيرَ الحق ولا تتّبعوا اهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيرًا وضلّوا عن سواء السبيل .

لُعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[٣٢] .

مائدة القربان ـ عيسى في الدينونة

يومَ يجمع اللهُ الرسلَ فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انّكَ انت علّام الغيوب .

اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناسَ في المهد وكهلًا واذ علّمتُك الكتابَ والحكمةَ والتوراةَ والانجيلَ واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرًا باذني وتبرئ الاكمهَ والابرصَ باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففتُ بني اسرائيل عنك إذ جئتهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم ان هذا إلّا سحر مبين .

واذ أوحيتُ الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشهدْ باننا مسلمون .

٣٢) سورة المائدة ، ٥ : ٧٢-٧٨

اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربُّك أن ينزّل علينا مائدة من السما. قال اتّقوا الله ان كنتم مؤمنين .

قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئنّ قلوبُنا ونعلم أنْ قد صدقتَنا ونكون عليها من الشاهدين .

قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزلْ علينا مائدةً من السما. تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآيةً منك وارزقنا وانت خير الرازقين .

قال الله اني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابـاً لا اعذبه احدًا من العالمين .

واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهَين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق ان كنتُ قلتُه فقد علمتَه تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علّام الغيوب .

ما قلتُ لهم إلّا ما امرتَني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيدًا ما دمتُ فيهم فلما توفّيتَني كنتَ انت الرقيب عليهم وانت على كل شي. شهيد .

إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم .

قال الله هذا هو يوم ينفع الصادقين صدقُهم لهم جنّاتٌ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم .

لله ملك السموات والارض وما فيهنّ وهو على كل شي. قدير[٣٣]

---

٣٣) سورة المائدة ، ٥ : ١٠٩-١٢٠ . وعلى هذا تنتهي آيات القرآن جميعها ، حسب تدقيق الباحثين من ذوي الاستشراق العلمي .

الآثار المطوّية

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٥٥

مكتوب

الجناب الاكرم والمقام السامي الافخم حضرة الاخ الاجلّ الماجد المحترم محمود بك حفظه الله تعالى .

انه بتاريخه تشرفنا بمرسوم كريم من لدن سعادة افندينا وليّ النعم المعظم ايده الله يتضمن فحواه السامي ان توجه خمساية نفر الى ثغر بيروت لاجل محافظتها (الحفاظ عليها) . لزم اخبرنا جنابكم لكي تأمروا بتدبير تنوقات للزلام (للرجال) المتوجه والله تعالى يحفظكم

٥٥

تنبيه

اعلم ان كل كتابة مفتوحة من الامراء ختمها يكون من قفا القرطاس وراء الامضاء . الّا البيولردي فختمها من قدّام ولا تُختم من وراء الّا في الغضب. كما ان الامراء لا يختمون كتاباتهم المفتوحة من قدّام الّا في التهديد والغضب. واما المكاتيب القوايم فختمها من قدّام دائماً عند الخاص والعام والبيلوردي العامة ختمها يكون بالمهر الكبير فوق الخط . ولا بدّ من تاريخها باليوم والشهر والسنة غير ان الكتّاب لا يوضعون اسم الشهر باحرف كاملة بل لكل شهر علامة .

٥٦

جواب مكتوب

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا والدة الشيخ شاهين المحترمة باركها الله تعالى باتم بركاته السماوية امين .

اولاً اننا لمزيدون الاشواق لاستماع اخباركم السارة بكل خير وعافيه . والثاني باين آن وصلنا تحريركم وسررنا منه علم صحتكم وبه تسألوا عنا فمن يتنا لله الحمد بكل صحه الباري يسأل عنكم براحمه الالهيه وانعامه السماويه ويحفظكم من كافة الاضرار روحياً وزمنياً ودائماً طمنونا عن صحتكم والبركة الرسولية تشملكم .

في ٢٢ شباط سنة ١٨٤٤

الحقير

البطرك يعقوب الارمني

٥٧

الجواب الذي توجه من جناب الامير امين نجل سعادته)

(نجل الامير بشير شهاب الكبير) الى الحاج علي اغا من الشام

في سنة ١٢٤٨ (١٨٣٣ م)

جناب حضرة الاخ الاجل المحترم الحاج علي اغا المكرم حفظه الله .

غب اهدا. درر تحيات فاخره. واداء غرر تسليمات عاطره . ومزيد اشواق وافره لمشاهدتكم المأنوسه على كل خير وعافيه . انه في ابرك ساعه ورد تحريركم المتضمن ورود اوامر الدولة بتوجيه منصب طرابلوس على عثمان باشا وتحويل المتساليه لكم وما جاوبتموه بخصوص ذلك فقد صار جميعه بمعلومنا . فاما هذه الشايعه مع كونها محاليه فحينما بلغت سعادة افندينا وليّ النعم المفخم الحاج ابراهيم باشا المعظم فحالاً امر بتوجيه جانب وافر من العساكر الجهاديه المظفره مقرونةً بالادوات الحربيه والآلات الكفاحيه مبالغاً وافره ومهمات متكاثره . وزيادةً على ذلك قد توجه جناب اخينا الامير خليل المحترم بأمر

سعادة والدنا بالفين من رجال الجبل المشاهير. والآن قد صارت مدينة طرابلوس وقلعتها وظاهرها وباطنها مشحونة بالعساكر المؤيده المنصوره مزدحمةً بالمدافع والقنابر والجبخانات والذخاير مستعدين الاستعداد التام لنشب مخاليهم بمن ياتي هذا مع كون هذه اشاعه جزئيه محاليه حصل هذا الاهتمام . وما عدا ذلك فنحن ايضاً بحسب صدور الاوامر الشريفه متأهبين بكامل رجال الجبل وموقوفين على صدور ادنى اشاره حتى وليس رجال الجبل فقط بل جميع رجال مقاطعات طرابلوس فانهم مجبورين على انهم يسرو مسرانا الحاله (الحالي) . فاذا شئتم الحضور فتفضلوا وما هو فقط انه لا يمكنكم المقاومه بل بحوله تعالى لا تجدون طريقاً ومن ابنا لحتم تؤخذون قهراً وترسلون الى الاوردي المنصور الذي ما حضرتم اليه برضاكم وتشاهدون من العساكر المصريه ما يدهش الابصار . ولا تفهموا بقولنا العساكر المصريه تعني العساكر الوارده من مصر فقط بل ونحن وعساكر الجبل تحت هذا الاسم فدمنا من دمهم وحالنا من حالهم وجسمهم جسمنا واسمهم اسمنا وابنا كانوا كنا وحينا ساروا سرنا . وهذا شيء غني عن الايضاح حيث تعلموه منا منذ عشر سنين .

ثم وطلبكم الرخام فلا بأس به حيث اتمام عمل الحمام صار لازم لاننا اذا دخلنا وجلسنا به نكون جلسنا على رخام بلادنا . وبحوله تعالى عند الاجتماع نستوفي حقوقنا منكم ولا تقطعوا عنا تحريراتكم ودام بقاكم .

في ٢٢ ش سنة ١٢٤٧ (١٨٣١ م)

المحب المخلص

امين ش

٥٨

مكتوب لسعادة الست

جناب حضرة ستنا الجليله المحترمه والدة الامير بشير المفخمه ادام الله تعالى بقاها .

غب تقديم مفروضات الادعية الخيريه لحضرة باري البريه بدوام بقاكم وسمو شانكم بالعز والانعام على ممر الاعوام . يعرض العبد القديم انه فيما تعطر الزمان

من احاديث فرايد كمالاتكم السنيه وتتشوق لمراسيمكم الكريمه المعلنة عن هداوة بالكم الفخيم واذ بابرك وقت واشرف ساعـه تشرفتُ بورود المرسوم السامي وصار فحواه الكريم قرين اذعان الداعي واسدينا حمدًا وشكرًا لمن يجب لعزته الحمد لتوالي البغية الشريفة اعلان صحة المزاج السليم وانني كما ارجو لا ازال بالخاطر مقيم حيث من وفور غيرتكم الوفيـه وشيمكم الحميده متكرّمين سؤالًا عن الحال . فنسأله تعالى الكريم المفضال ان يحفظ لنا عمر ووجود جنابه وجناب المحروسين الانجال إسيادنا الامراء الفخام وحضرتكم بكامل الانشراح المستداء ان شا. الله على ممرّ الايام بشفاعة من لهم الشفاعة امين .

ونحن من فضله تعالى بصفو الخواطر الكريمه اذ ترقيم العبوديه مـا زلت بكل صحه وسكّان ديركم جواريكم الراهبات جميع كذلك يقدمون لعزته تعالى جلّ جلاله بان يسبغ لديكم اوفر الصحه والرياضه . هذا وما رسمتم به من مقتضى ايابنا للدار العامره وما كان من حركة اللطف الحاصله لحضرة ولدكم المصونه صار معلوماً وعبدكم بالارتقاب التام للحضور والتشرف بلثم الاعتـاب خاصةً لما يجب من مراعاة صحة حضرتها ربنا يقدّم لها تام الشفا . واما من نحونا بحسب ما تقدم بالسعي لاتمام الامر وان شا. الله بيرهه قريبه ننهي بعض مشاغل ضروريه ومنحضر عـلى الراس قبل الاقدام لان خدمتكم من اكبر المتوجبات . فالرجا قبول العذر الآن وفيما بعد عدم ابراحي من الخاطر الكريم وادام الله بقاكم .

عبدكم

معلوم

٥٩

من مفتي الى شيخ نصراني[١]

افتخار الملّة المسيحية وخاصة الطايفة العيسوية وخلاصة المتمدين للطايفـة الطاهرة الشهابية الحبيب اللبيب اللوذعي الاديب المحب الاعز الاكرم الشيخ ابو ضاهر منصور حرسه الله تعالى .

١) ان هذا الكتاب مرسل من مفتي طرابلس سابقاً السيد عبـد الحميد كرامي جدّ والد صاحب الدولة رشيد كرامي .

غب مزيد كثرة الاشواق مع عظم تزايد الاشتياق الى التملي بمشاهدة حضرتكم بكل خير وعافيه ونعمه جزيله وافية دامت على محبتكم متوافيه. ثم الباعث لتحرير احرف المحبه واسطر الموده اولا السوال عن صحتكم وطيب احوالكم المرغوبه لان دائماً بالسوال عن صحة مزاجكم ونرغب الوقوف على ذلك بورود كتاب نعلم منه صحة المزاج المستطاب كما هي عادة الاصدقا والاحباب فحيث اني لم ادرك ذلك وبلغنا قدومكم بالسلامه الوطن وقد قرب المجال بهذه السنه المباركه بهذا المنزل السعيد فجعله الله تعالى منزلاً مباركاً ميموناً وبالسعد والنجاح مقروناً وحفكم بالطافه الخفيه واعطاكم الرتبه السنيه. والآن تحرّرنا للسوال عن صحتكم وانتقاد عزيز خاطر محبتكم بادرنا بهذه الاحرف نرجو ونزمل من الآن فصاعداً عدم انقطاع تحريركم عنا فيما يقتضي ويلزم من الاغراض فانها موقوفة على الاشارة مع ابلاغ اشواقنا وجزيل وافر دعائنا لانجالكم المكرمين وبقية الاهل والمحبين ودمتم .

سنة ٤٥ (١٨٢٩ م) المحب

السيد عبد الحميد الكرامي

المفتي بطرابلس الشام سابق

عفى عنه

٦٠

مكتوب جواب

حضرة الجناب الامجد الحلّ الاجلّ الاوحد السيد محمد البربير المحترم دام بقاه .

غب تباريح وجد من فؤاد مكلوم الوحشة والهيام . وبث الشوق الذي لا يرام الى التملّي بشاهدة سنا محياكم المانوس . لا زال من كوارث النوايب مصان محروس . انه اذ كنا مترقبين وفود الاعلام التي تخولنا السرور التام . واذا بورود تحرير جنابكم الكريم . المبني عن اعتدال المزاج السليم . ومن ذكي نيّرتكم منوهين بالافتقاد . فلا يعدمنا حسن الوداد . فلله المنّة والحمد

حين تاريخه بغايتي الصحه والعافيه . فلا زلتم بدوام الرياضة الكافيه . ونسأله جلّ شأنه ان يديم لنا مودتكم الاكيده . وصداقتكم الفريده لنكون بالاطمئنان ودائماً لا تحجبوا عنا الاعلام . . .

٦١

اعراض

قرة النعم عليّ الهُمم حميد الشيم مستخدم حسن الملك السيف والقلم الدستور الوقور المعظّم والليث الجسور المفخم افندم سلطانم حرس الله وجوده الشريف :

غب لثم اذيال السعادة والاجلال وبسط اكف التضرع والابتهال الى الله سبحانه الكريم المتعال بدوام دولة سعادتكم الزاهره وتأييد مهابة صولتكم القاهره ما توالت الاجيال . عرض حال عبدكم انه بهذا الاثنا . قد ورد لنا كتاب من رقيق دولتكم وعبد سعادتكم سيدي الوالد يتضمن فحواه انه بعد الاتكال على وحدانيته تعالى بمدد انفاس سديرة سعادتكم الطاهره وبسيف صولة عنايتكم القاهره قد نهض بالعسكر من الرحاب الشريف للاوردي المنصور . ومأذون عبدكم في ارسال جانب عسكر قوي البأس من عبيد سعادتكم ورجال دولتكم اهالي الجبل بناء على ارهاب ورعب الملتجيين لقلعة سانور بشهرة ازدحام عساكر دولتكم الزاهره لادخال اعناقهم بنير الطاعة قبل بساعه . وكان يودّ ويرتقب هذا العبد الرقيق بان يسير بذلك لحوزة الشرف بلثم الاذيال ولادا . بعض مـا يجب من الخدمات المفروضه لحد اهراق دمه بخدمة بابكم السعيد ليفي ما يقابل جزء من نعمتكم المغمور بها ولكنه حيث سبق الامر المطاع بتربصه تحت لواء الانظار الاكسيريه بهذه الاطراف فتحاشي الخلاف . اقتضى اننا موجهين عبد سعادتكم ابن عمنا الامير عبدالله بجانب عسكر مجمل من رجال دولتكم للاوردي المنصور وبحسب توجهه ان تمرّج بمجر الخام والمراحم بالاذن لـه ليتشرف بلثم الاذيال ويحوز الحظ والافتخار حينا يكون ملوحاً بالنظر الاكسيري . وعبدكم هذا ما زال منتبها على اثبت قدم لانفاذ ما يؤتمر به .

ونسأله جلّ شأنه بان يديم بنود واعلام دولتكم خافقة في اوج الظفر والسعد مع عدم طردي من دايرة الرضى المنيف وادام الله بقاكم للدوام افندم .

بك

امين ش

٦٢

اقران امثال

الجناب الاكرم حضرة محبنا وصديقنا الاعز المحترم الشيخ .. المحتشم ادام الله تعالى بقاه .

غب اهداء وفور التحيات الفاخره السنيه ومزيد الاشواق الوافره الوفيه لمشاهدة انوار طلعتكم الزاهره الزهيه على كل خير وعافيه ونعمه جزيله كافية دمتم بها . الباعث لترقيم احرف الوداد افتقاد عزيز الخاطر الكريم . والثاني فهمنا ضليب التحرير المرسول من جنابكم الى بشاره الشامي . وهذا شي معجب من انسان يعمل دواليب مثل هذه ولكن يصير لنا وقت نتكلم بهذا مع جنابكم لساناً لاننا نتامل ان نشوفكم بوقت مرضي حين زوال الغم وتتميم دارتنا وخلوصنا من اناس كذابين الذين لا يرضونا ويبقوا فقط لحين وصول غيرهم وان شاء الله الوقت ما هو بعيد كذلك لنا امل ان صحتكم الآن احسن حيث انكم غيرتو المناخ والهوا . ومن حيث ان صدركم الآن تعبان من وقت الى وقت بربما ان شراب الورد وشراب البنفسج يلايمكم وحيث علمنا اننا نعمله احسن من اهل هذه البلاد واصلكم الآن كام قنينة لاجل التجربه مشروب الهنا والسرور معا يلزم رهين الاعلام واطال الله بقاكم .

في ٩ ل سنة ٤٥ (١٨٢٩ م)

اسبرلوسي

اساهون م

٦٣

صورة فرمان عالي شان

حضر من طرف الدولة العليه نصرها رب البريه

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين .

اما بعد فان طايفة الفرانسا (فرنسا) جعل الله ديارهم ناكسه واعلامهم دارسه هم الكفره الطغاه . والفجره البغاه . لا يومنون برب السماوات والارض ولا برسالة الشفيع يوم العرض بل تركوا الاديان كلها وانكروا الآخره وشدتها وهولها لا يعتقدون يوم الحشر والنشر . ويقولون ما يهلكنا الا الدهر . وما نحن الا ارحام تدفعنا وارض تبلعنا فليس بعد ذلك بعث ولا حساب ولا عقاب ولا سؤال ولا جواب . حتى انهم نهبوا اموال كنايسهم وتحلات صلبانهم واغاروا على شمامستهم وقسوسهم ورهبانهم وان الكتب التي جاءت بها الانبياء كذب صريح وافترا. وليس القرآن والتوراه والانجيل الا زور واباطيل. والذين يقولون نحن انبيا. كموسى وعيسى ومحمد ليس لهم مزية على احد . وما جاء الدنيا رسول بل هم مفترون على الخلق جهول والناس كلهم متساوية في الانسانية متشاركون في البشرية مستقلون بانفسهم ان ليس لاحد على احد مزيه . وكل منهم في ذاته يدبر لنفسه امر معاشه في حياته . فعلى هذا الاعتقاد الباطل والراي الهازل بنوا قواعد جديده . وقوانين اكيده . فانبثوا فيها ما وسوس اليهم الشيطان وهدموا قواعد كل الاديان واحلوا ساير المحرمات واباحوا ما تميل اليه النفوس الخبيثة من الشهوات وضلوا واضلوا اشقياتهم وفجارهم من الاعوام (العوام) الذين هم كالهوام .

ومن جملة قواعدهم الشيطانيه جواز النفاق والقاء الفتن بين الملوك والدول وساير الامم من ارباب الشقوة والفساد وكل ذي حشم . واضلوهم بارسال الكتب المشحونة بالتزويرات والاباطيل المزخرفات يخاطبون كل طايفة باننا منكم وعلى دينكم وملتكم ويعدونهم بالمواعيد الباطله. ويحذرونهم بالتحذيرات

الهائله . والحاصل انهم انهمكوا بالفسق والفجور وامتطوا مطية الغدر والغرور وخاضوا بحر الضلال والطغيان وتحشدوا (احتشدوا) تحت راية الشيطان . تمكن البغي والفساد في احشايهم وان الشيطان ليوحون الى اوليائهم لا حاكم يردعهم ولا دين واعتقاد يجمعهم . يعدّون النهب غنيمه والنميمه اكمل شيمه . فهجموا وقهروا من ليس يتبعهم في هذا الاعتقاد الباطل من المذهب الدهريه من الطايفة الفرنساويه . فطفقة (فطفقت) ساير طوايف الافرنج من شرورهم في هرج ومرج وهرج ومرج . وهولاء يهرّون هر الكلاب وينهشون نهش الدياب . فحملوا على تلك الطوايف والجماهير قاصدين تخريب قواعدهم وبنيانهم . وسبي نساهم وصبيانهم . فجرى بينهم الدماء كالماء حتى نالت منهم الفرنسا (فرنسا) المراد . وتبدّل عنادهم بالانقياد .

ومن جملة خيانتهم وفساد نيتهم سوء قصدهم في الملة المحمدية والامة الاحمدية الكتاب الذي كتبه مدبر جمهورهم المدبورين بونه بارته (نابوليون بونابرت) وهو رئيس عساكرهم المقهورين . وقد وصلت صورة الكتاب لدينا بواسطة بعض جواسيسنا وها هي منقولة لكم كلماته فاسمعوا لخرافاته :

« نبدي اليكم ان مذهب الاسلام قوي متين وذو صلابة بالدين فاذا وصلتم الى اقطارهم وحللتم في امصارهم فينبغي عليكم ان تعاملوهم بمقتضى حالهم واستعدادهم واطوارهم فالضعيف تباشروه في الحرب والقتال والنهب . والاقويا تنصبوا لهم اشراك المكر والحيل لتغليطهم واغفالهم بعدم التعرّض لدينهم وعرضهم واموالهم الى ان يقعوا في شرككم ثم هلم فكلهم لكم . وينبغي ايضاً بان تلقوا بين ساير الملل الاسلاميه مكايد خفيه من العداوة والشقاق والفساد والنفاق وتوقظوا بينهم الفتنه والاعتساف فتسلّطوا الاسافل على الاتقيا والاشراف . وتقوم الشرور بين اراذلهم واشرارهم وفجارهم واخيارهم على الخصوص بين العرب وقبايلهم ومشايخهم وروسايهم وقطّاع الطريق واشقيائهم . وابذلوا جهدكم في ايقاد نيران الفتن بين خاقان العجم وتلك الديار من الاشرار . وبينهم وبين آل عثمان باي وجه كان ليقع الشر والجدال والنزاع والنكال فيخرجون الناس من طاعة سلطانهم وإمامهم والرعايا من انفاد حكم حكامهم فينقطع بذلك سلك نظامهم وينفصم عقد انتظامهم ويتشتت شملهم واحوالهم

وتنفد خزاينهم واموالهم فتملكو حينئذ على الوجه الاسهل رقابهم وديارهم في خلال اختلالهم وجدالهم . وينبغي ان تمينو ضعيفهم على اقواهم في خصومتهم ودعواهم لانه اذا اضمحلّ الاقوى باعانة الاضعف فاضمحلال الاضعف بعد ذلك امر هيّن عليكم واخفّ لكن من حيث يوجد بين الفرنساويه والاسلام اختلاف تم فلا يمكنهم بتقتضى صلابتهم في دينهم موافقتنا قطعاً لرفعنا ساير الاديان والشرايع جماً . ولا يجوز لنا الركون اليهم ولا الاعتماد عليهم فبعد ظفرنا بهم بسبب لطايف الحيل التى تقدمت نهدم كعبتهم ومدينتهم وبيت مقدسهم وجميع جوامعهم ومساجدهم ومراقدهم ثم نقتلهم القتل العام سوى الصبيان والفتيان من النسوان. وحينئذ نقتسم بيننا ديارهم واملاكهم واموالهم ونحوّل بقيّة الناس الى اصولنا وقواعدنا ولساننا فينمحي الاسلام وقواعده وشرايعه وتندرس رسومه واثاره من وجه الارض قاطبتاً (قاطبةً) شرقها وغربها وجنوبها وشمالها وعجمُها وعربها .

انتهت عباراتهم الخبيثه سطرًا بسطر . جعل الله دايرة السوء عليهم فلا يستطيعون ضرباً ولا نصراً .

فهذه احوال الفرنساويه في الخادم وكفرهم وحيلهم ومكرهم . فكيف لا يكون فرضاً على كل مسلم وموحّد دفع هولاء الكفره والملاحدة الفجره. فالآن يا حماة الدين ويا كماة المسلمين ويا غزاة الموحّدين ويا ابطال الحرب والضرب ورجال الغارة والنهب ويا اركان الشريعة المحمدية ويا محتذو (محتذو) قواعد الملّه الحنفية بل كلكم يا مسلمون يا مومنون يا مقرّون بوحدانيــة الله وبرسالة محمد ابن عبدالله لعلّ هولاء الكلاب العاديات يظهر منهم اثرًا (اثرٌ) او يبدو عنهم خبرًا (خبرٌ) بناء على زعمهم الباطل ان زمرة الموحّدين كما الكفرة الذين حاربوهم وخادعوهم وجذبوهم (وجذبوهم) الى اعتقادهم الفاسد واطاعوهم ولم يعلموا لعنهم الله ان الاسلام مغروس في قلوبنا والايمان ممزوج في دماينا ولحومنا .أكفرٌ بعد ايمان أضلالٌ بعد هدى . ؟ كلا ورب الارض والسماء . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد ان اهتدينا .

وقال تعالى في كتابه المبين: لا يتخذ المومنين الكافرين اولياء من دون المومنين . فكونوا على حذر لا يخدعنكم كذبهم وتزويراتهم ولا يخوفنكم

سوادهم وتوهماتهم لانه لا يبالي الاسد بجمع الثعالبه ولا البازي بهجوم الاغربه.
وكونوا على قلب واحد بعضكم لبعض معاضد كما قال نبينا الصادق الصدوق :
المومن للمؤمن كالبنيان ليشدّ بعضه بعضاً . وارفعوا من بينكم الشقاق وابدلوه
في الحب والاتفاق وارفعوا من بينكم الاشرار والو (واولي) النميمه والنفاق
اينما كنتم وحيثما وُجدتم قرباً او بعدًا . ولا يقول احدًا (احدٌ) منكم اذا
وقع فساد في غير بلدة من اشقيائه واراذله دفع هذا لا يلزمنا لانه في غير
بلدتنا وبعيد عنا بل كلكم سوا. في الاسلام بدون تراخي ولا انفصام .
وايضاً حققو ودققو لعل طايفة الفرانسه (فرنسا) خفية بقوّة الدراهم والمال
يضلوا من هو دينه ضعيف وعقله خسيف وطبيعته مجبوله على النفاق والشقاق
فيـأمرهم انواع الحيل والفساد ليلقوها بين البرية والعباد فيلزمكم كلكم ان
تباشروا من غير تواني ولا تكاسل في دفعه ورفعه وطرده وقمعه .

والحاصل فلتكن كلمتكم واحده متفقين في تشييد هذا الدين المبين .
وكونوا على حذر من حيل ومكر اولئك الكافرين لانه ظهر وتبيّن ان كل
مفسدة ظهرت بين الاسلام في هذه الايام فهي من هؤلاء الكفرة اللئام. ولتكن
سيوفكم بارقه واسنتكم راشقه واسنتكم في الطعن متلاحقة ومدافعكم
صاعقه ونبالكم الى افئدتهم متسابقه ودبابيسكم لقصم ظهورهم شابقه بفرسان
يجولوا في حومة الميدان بكل حملة توصل الكافر الى درك النيران لان عون
الله ان شاء الله معكم وعين الله ناظره اليكم مؤيدين بنصر الله محفوظين
بروحانية رسول الله سيهزم الجميع ويولّون الدبر (الادبار) بل الساعه او هي
وامر . ونحن في طرف السلطنة السنيه نشرنا الاوامر العليه في جمع العساكر
والاجناد من ساير اقطار البلاد . فبحول الله تعالى وقوّته وباهر عظمته عمّا
قليل تجتمع العساكر الوافره والجنود الزاخره مع سفاين تمشي كالجبال بقدرة الله
ذي الجلال ومدافع كالرعد القاصف والبرق الخاطف وشجعان لا يبالوا من الموت
لاعلاء كلمة الله وغزاة يقتحمون على النار محبة في دين الله فتتعقب ادبارهم

(ديارهم) ويجعلهم هباء منثورًا كأنهم لم يكونوا شيئاً مذكورًا . اشاهــة (اشاهت) الوجوه وعنة (وعنت) الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين[١] . . .

٦٤

مكتوب

غب سلام ازهى من زواهر النجوم وثنا. كأنه اللؤلؤ المنظوم وشوق حرك ساكن الغرام وضاعف الوجد والهيام وترك دمع العين في انسجام ونار القلب في اضطرام من محبٍّ محبته صادره من صميم الفؤاد ومشتاق اشواقـه لو تُحسب لملأت الف واد. وينهي ان الذنب لا يؤلم من البغيض كما يؤلم من الحبيب . ولا يقع من البعيد كموقعه من القريب. وظلم العارف اشد نكاية . وما اصعب الجناية ممن لم تجرِ له عادةٌ بالجناية . ولولا ان العتاب يزيل الموجدة . ويخمد نار القلب الموقده . لما اجرى المملوك باب العتاب . ولا شرع في هذا المعنى ولا اجاب . الصديق والصدوق نطقٌ لفظه على الالسنة موجود . ومعناه في الحقيقة مفقود . فهو كالكبريت الاحمر . يُذكر ولا يُبصَر ، وكالعنقاء والغول . لفظٌ يوجد بلا مدلول . وما احسن قول القايل حيث يقول :

جلا الصديق وكاف الكيميا معاً   لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

وقال :

لمَّا رأيتُ بني الزمان وما بهم   خلٌّ وفيٌّ بالصداقة اصطفي
ايقنتُ ان المستحيل ثلاثـةٌ   الغول والعنقـاء والخلّ الوفي

وسُئل بعض الحكما عن الصديق . فقال : اسم لا معنى له . وهذه شيم غالب ابناء هذا الزمان من الاخلا والاخوان . فمثلهم كمثل العرض لا يبقى زمانين . ويستحيل في اسرع من طرفة عين . او كلامع السراب . المستحيل

١) نشرنا هذا الفرمان مع ما فيه من نبذ من كتاب بونابرت على علّاته كما هو مسطّر في هذه المخطوطة التاريخيّة ؛ امانة للتاريخ . ولا يخفى على القارئ النبيه ما فيه من إفراط في التحقير والذمّ لا يعتمد الّا على التكلّف والصبيّة .

فيه الشراب . او كالخيال الذي يبدو في المنام. وهو في الحقيقة اضغاث احلام . ومن كان بهذه الصفة فلا ينبغي الوثوق بوده . ولا التأسف على فقده . ولا التألم على فرقته . ولا الحزن على غيبته ...

سنة ١٨٢٨

٦٥

شعر

اني رأيتك في المنام معانقي وظننتُ انّي في المنام سعيدُ
لما انتبهتُ وجدتُ روحي وحدها والدار قفرًا والمزار بعيدُ

***

يا غائبًا غاب السرور لبعدهِ ما طاب لي عيشٌ وانت بعيدُ
الله يجمع شملنا بك عاجلًا والله يفعل ما يشا ويريد

غيره

خلت الرقاع من الرخاخ وتفرزنت فيها البيادق
وسطا الغراب على العقاب م وصاد فرخ البوم م باشق
وتسابقت عرج الحمير م فقلت من عدم السوابق
سقطت بلابل الزمان م واصبح الخفّاش ناطق
وتنكست رؤوس البزاة م وصاد فرخ البوم باشق

غيره

يا جارة جاروا عليّ ببعدهم حنّوا عليّ وارحموا مضناكُمُ
حاشاكمُ يا سادتي ان تهجروا صبًا معنى مغرمًا بهواكمُ
بالله جودوا وارحموا لمتيمٍ لم يستمع فيكم حديث سواكمُ
يشتاق موسى فوق طور رضاكمُ فاذا تجلّى حسنكم ناجاكمُ

ورد في اول صفحة ١٤١ ما يأتي بحرفه :

« انه في تاريخ سنة الف وثمانماية واربعة وثلاثين كان سفرنا الى محروسة مرسيليا صحبة اختنا وكان قيامنا من البيت نهار الثلاثاء (الثلاثاء) في ١٣ شهر نوار . وكان وصولنا الى محروسة مرسيليا نهار الاربعه (الاربعاء) الواقع في تسعة تموز سنة ١٨٣٤ الموافقــه للهجره سنة ١٢٥٠ صح » .

وجاء في آخر صفحة ١٤٢ :

« وبعد امتلاكك الخط جيّدًا يا خطار تعلّم قلم الهندي (الحساب) لانه ضروري جدًّا وهذا معرفته اهون عليك من شرب الماء البارد . لا تخليه ابــدًا . وعلّم اخونك ايضًا الكتابه وعلم الهندي لانهم سند لك حين الذيقه » .

وجاء في اول صفحة ١٤٣ ما هو نصه :

« وكان رجوعنا من محروسة مرسيليا نهار الخميس الواقع بشرين شهر آب . يكون جملة اقامتنا بمرسيليا شهرين والباقي على الطريق . استقمنا من بيروت الى مرسيليا ثمانية واربعين يوم ؛ ومن مرسيليا الى قبرص عدد ٢٧ يوم ومن قبرص الى بيروت عدد ٣ يوم . هــذا كان كل السفر من الشرق للغرب ومن الغرب للشرق في نهاية سنة الاربعه وثلاثين وثمانمايه والف ١٨٣٤ . وكان طلوعنا الى مينا قبرص نهار الاثنين الواقع في اربعــة عشر ايلول ضهرية النهار سنة ١٨٣٤ » .

***

تمسّك ان ظفرت بذيل حرٍّ فان الحرَّ في الدنيـا قليلُ

***

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل

***

كن غنيَّ النفس واقنع بالقليل مت ولا تطلب معاشًا من بخيل

***

مـا عجزنا عن جوابٍ ولكن ما يضرُّ الاسود نبحُ الكلابِ

٦٦
حجة مبيع

هو انه يوم تاريخه قد بعنا ما آل الينا بوجه الشرا. الشرعي من حياة المرحوم ابن عمنا حنا وهو الرزق المعروف بنا في مزرعة حيّاطه (بلاد كسروان) المشتمل على اغراس توت وعمار وكروم وعريش وتين وسليخ وحرش وعطل واغراس جوية وبرّيه الكاين جميعه تحت ظلّ تصرفنا الى حين صدوره وذلك الى رافعين هذا السند الشرعي اولادنا منصور وجهجاه واولاد ولدنا لويس، فاعور وحنا مثالثه اي الى منصور وجهجاه الثلثين وُالى فاعور وحنا الثلث ببلغ قدره وعلم بيانه من القروش الاسديه الرايجه السلطانيه الذي يُغلّب التعامل بها يومئذٍ ستة عشر الف قرش،عن كل قرش اربعون مصريه بيعاً وشراء صحيحين شرعيين لازمين نافذين باتّين مرعيّين بايجاب وقبول وتسلم وتسليم شرعيات بحال كوننا بصحة العقل والبدن بطواعية واختيار من دون كره واجبار غب التخلية الشرعية والعلم الكافي النافي للجهالة الشرعية شهرة ووضعاً وعيناً . وحدود الموضع المرقوم من الجهات الثلاث اي شرقاً وغرباً وشمالاً الطريق السلطاني السالك وقبلةً رزق مدرسة ماري عبدا (هرهريا) والخوري حنا آصاف . وقد صدر هذا المبيع المحرر ما بينا وبين اولادنا واولاد ولدنا القصّر المرقومين بوجه التراضي وابرينا ذمتهم من الغبن والغرر . وقد خرج هذا المبيع كلّه عن ملكنا وصار ملكاً شرعياً للشاريين المذكورين يتصرفوا به وبكل حقٍّ له تصرُّف المّلاكه في املاكها وذوي الحقوق في حقوقها مع كلما يتبع المبيع المحرر ويعزى اليه من طُرُق وطرايق ومجالات ومشتملات ومضافات ورسوم ولواحق بحق ذلك كله ومهما جاء على المبيع المذكور من درك وتبعه فضمانهُ علينا حيث يجب شرعاً ويدفعوا المال الميري المرتب على المبيع وحيث استقر الثمن المرقوم ديناً شرعياً في ذمة الشاريين المذكورين فقد ابرينا ذمتهم من الثمن المحرر كلّه ومن كل جزء منه ابراءا عاماً مطلقاً شرعياً ولم يبعد لنا قِبَل الشاريين المذكورين ولا عليهم ولا في ذمتهم الدرهم الفرد من ساير الجهات. وقد سطرنا هذا السند الشرعي بيدهم ليكون مشعرًا للبيان فيما سُطِر اعلاه غب الاشهاد علينا في ذلك كله الاسامي المدوّنة ادناه. تحريرًا في اليوم كذا من شهر كذا سنة كذا . .

٦٧
رسالة

اهديك طرائف تحيات تستمد العرائس من عرفها . والنفائس من ظرفها . والنجوم من ضيائها . والجواهر من لألائها . والماء من صفائها . واللطف من هوائها . والبدور من كمالها . والحور من جمالها . واسأل الله تعالى لك صفاء الخاطر . وهدوء السرائر وخلود السرور . ودوام الحبور . وصحة المزاج وكمال الابتهاج . فانك البحر الذي لا يتكدر . والزلال الذي صفاؤه لا يتغير . والروض الذي يتنعم في زهره وثمره وظلاله . ومرآة اللطف الصقيلة التي تقابل كل وجه بمثله . وجوهر الكمال . الفرد الذي لا يقبل الانقسام . والذهب الابريز الذي لا يصدأ ولا تنقصه نار الامتحان ولا يزداد الا حسناً ولبناً على الدوام . وقد زاد اليك اشتياقي . وجذبتني يد الحب لرحابك باطواقي . لا سيما حين شنّف ابو حسين بذكرك اسماعي . وذكر ما كان لقلبي حادم وداعي . وتالله ما ذكر الا ما كان يعتقده فؤادي . وينبىء عن حبي ووادي . فوافق شنّ طبقه . وقوي اليقين ان عند بدري شفقه . وعند ذاك برأت قريحتي القريحه . وانشأتُ خريدة امست بدحك بليغه فصيحه . . .

٦٨
انشاء

ابدع ما طرزته بنان البيان ... يراع الافتنان واطرب ما سجعت به بلابل البلاغة وافصح ما غرّدت به صادحة البراعه وابهى ما تحلّت به عرائس البديع من قلائد الفوائد وازهى ما تزينت به ابكار الافكار من نفائس الفرائد يذيع اثنية تعجز عن اختراعها انور العقول والاذهان ويقصر عن تعدادها كل جنان ولسان . ونوابغ ادعية لم تحصها هواجس الخواطر ولا حوتها بواطن السرائر والضمائر . ونوافح تسليات تحمدها نفحات المسك الاذفر ونوادر تكريمات يغار من طيب شذاها عبير العود والعنبر وعروس تحيات بارزة من خدر النباهه مزفوفة بانواع النضاره رافلة في حلل الرقة واللطافة ساحبة اذيال التيه والظرافة متحلية بزواهر جواهر المعاني السنيه تتحلى بزواهي محاسن المباني البهيه . بازغة

بسما. غرّتها شموس البراهين الواضحة ناظمة بسنا. جيدها عقود العبارات الراجحة لائحة من لحظيها امارات الدلائل السديـده باسمة عن زواهي جواهر الحقيقة الاكيده . ساعية على الدوام باقدام الطاعه سابلة قناع الانس والوداعه متحوفة ببدية الثنا. الفاخر محفوفة بزينة الحمد الوافر . فائح من ثمينها عرف زنبق الود الصادق عابق من رياها بنشر ورد الحب الفائق . قادمة على ختن المحاسن والملاحة . مائلة لدى قدوة ارباب البلاغة والفصاحة . مجمع المحامد والمفاخر . بهجة القلوب والنواظر . كنز الاداب فخر ذوي الالباب . معدن الكمال دوحة الجمال . ذو الشمائل اللطيفة والمناقب الشريفه . الاديب السامي بعرفانه على امثاله واقرانه . ذو العقل الفريد والرأي السديد . النادر العزيز . عمدة آل الخبرة والتمييز. الفطن البارع بادراك المتلات. الشهم المسارع بحل المشكلات. نتيجة الزمان . تحفة العصر والاوان . الدر المكنون . ذخر العلوم والفنون . صديق القلب وقلب الصديق . شقيق الروح وروح الشقيق . الجناب المحروس المشار اليه باعلى الطروس . لا برحت ايامه الغراء مسعده . ونعم المولى عليه مخلده .

غب لواعج اشواق لا تحصى ولا تعد . واشتياقات لا تستقصى ولا تحد . الى الحظوة بمشاهدة تلك الذات المأنوسة ، والطلعة المحروسة . لا زالت سليمة المزاج . غنيّة عن العلاج ، المعروض انه لا يخفى عن فطنة الحبيب الاوحد . وفهم العزيز المفرد . اننا اذ كنا في ربيع تلك الايام . متنعمين في رياض تلك الخيرات والانعام . متزهين عن كل همّ وبلبال . ونحن بارغد عيش وأسرّ بال . معتدلي المزاج . خالين من كل غمّ وانزعاج . نقتطف ازهار الافراح . ونستنشق نسيم الانس والانشراح . نشنف الاسماع . ونلذ الطباع . ننزه الابصار . بروضة الانتصار . متنعمين . . . في نعيم الربى . نرصد ركب الاحبا . ونقصد اوج السياده وبرج السعاده . فما زلنا على حالة التهاني . . . الاماني الى ان داهمنا الصيف الحائر وارانا انواع البدائع والعجائب . وشبّت حرارة الشدائد . ودبّت يبوسة المكائد . فحينئذ بان الجفاف . ولاح الشغاف . واحلت بساتين النشاط . وبادت جنان الانبساط . وتملكت سودا. الهموم . وتسلطت صفرا. السموم . وما برحنا في تلك المدّة . واقعين في حميات الشدّة . نكابد انواع

الضيقات · ونحن على مهاد المشقات · الى ان بادر الخريف . فحينئذٍ عدمنا كل تلطيف وساءت الامزجه ورابنا كل مزعجه . فلله درّ هذه الايام . وتبًا لسو. هذه الاحكام . وتعسًا لهذه الامصار . وترحًا لها من اعصار . ويا ليتها بعد ذلك اكتفت بهذه المهالك بل غادرتنا ونحن كاشباح واجسام بلا ارواح . ونتسلّى بالمحال . ونصبح في حال . ونمسي في حال . واذ قد بادر الينا الشتا . وأضعف الكهل والفتى · ولاحت في سما. الانتصار . علامة الذلّ والانكسار . واغربت شمس التهاني وغاب بدر الاماني . وانتشرت غيوم الاكدار . وأقتمت سما. الدمار والدثار . واظلم ضباب الاحزان . وهبّت رياح الهوان · وثارت عناصر المصائب . وعجّت بحار النوائب . وارعدت رعود البلايا . ولمعت بروق المنايا . وامطرت سحابة الكوارث . وفاضت ينابيع الحوادث . واشتدت زلازل الامور . وانقضّت صراعق الشرور . وتساقط بَرَد الدواهي . وساء كثر التناهي . وعجّ بحر الخُطوب . وفاض طوفان الكروب . وغارت الشامخات واهترت الراسخات . وساءت الاحوال وزادت الاهوال . وضجّت الحروب . وارتجت القلوب . وضاقت النفوس وحاقت البؤوس . وغدر الزمان وعدم الامان . وخابت الظنون ودنت المنون . وشابت النواصي وأقعدت القواصي . وضاق المجال وقصرت الاجال . وبادت الاجاد وقلّ الانجاد . وحاق السيف وراع الحيف · ولاح الحِام وولّى الهمام . وصاح الجبّار : الفرار الفرار ونادت الاقدار : الدثار الدثار . فحينئذٍ تبددت الجموع واقفرت الربوع ، وتشتت الاخوان وتفرقت الخلّان . وارتعشت المسامع وهطلت المدامع . ولا شفيق ولا رفيق ولا صديق ولا شقيق . فيا لهُ من اتون سخطٍ مضطرم وطوفان رجز عرمرم . قد ساقنا الى وادي الحسرات وزجّنا في وهدة العثرات . فشملني الخمول وطفقت انشدُ واقول : يا لعمري . وحيرة امري . اين ذاك الصفا . وخلّان الودّ والوفا . واين ذاك النضار . وزهو تلك الديار . واين تلك الملاهي . وذاك الهنا. والتباهي . فهل لها من رجوع . وهل للبلاء من هجوع . وهل عودة لذاك المقام . ونجاة من هذه الاسقام . فلا سميع لي ولا مجيب ولا تم لي بذلك نصيب .

وناهيك يا اخي المودة ما حصل لي في هذه المدة من الشدة . وما حصل . . .

وكيف فقد الشاب وأفل ذاك الشهاب . . . وأف له من عذاب . ويا لها من فجعة كئيبه وعبرة غريبه . وسحقاً لها من بدعة فظيعه حائدة عن كل سنّة وشريعه . فمن ذا الذي يسمع ومقلتاه لا تدمع . ومن يبصر ولا يتحسّر . ومن يرى هكذا تلف ولا يقضي حزناً واسف لعمري انهـا ضاقت الصدور ولانت الصخور . وحنّ الوجود ورقت القيود . فاين العقو والحلم وما هذا الجور والظلم .

فحتى مَ يا ايها الاخ المحبوب تسكع في ظلام هذه الخطوب . ولا تسأل يا حبيب عن حالة الصبّ الكئيب وما بقلبي من الوجـد والغرام الى مشاهدة ذاك القوام . واني لظامئ الى ارتشاف عذوبـة تلك الالفاظ الدريّه وهائم لبشاشة تلك الايقونة البهيه . ولم ازل اترقب ورود الاخبار من القادمين من كل صقع وديار . سائلاً عن محلّ انسكم وسما . اشرقت فيه شمسكم . الى ان هديتُ ببشرى غالي سلامتكم المرغوبه واطمأن فؤادي على كمال صحتكم المطلوبه . فاسديتُ لله تعالى مزيد الحمد والشكر واسهبتُ في الدعـا . للحق سبحانه بهدو البال وراحة الفكر . وانعكفتُ على تواتر التوسل والابتهال لمن جلّ شأنه ذي الجلال . بالنهاية السعيده والعاقبه الحميده . وان يعيدنا واياكم الى تلك الديار والاوطان . ويجمع الشمل كما كان . وكما يشهد الفؤاد . وهو اصدق الشهود بالوداد . انكم مـا برحتم قط من خاطر من تؤثثون بصدق ودّه . وانتم ادرى واعلم بشوقه ووجده . فالمأمول والرجا . من حسن شيمكم الكريمه . وخلوص طويتكم السليمه . اتصال الاعلام . من غير انخرام . لان المراسله نوع من المواصله . وشرّفونا بما يلزم من الاغراض والخدم[1] . . .

٦٩

اعراض جواب بشارة

غب لثم اذيال السعادة والاجلال وبسط اكفّ الضراعة والابتهال الى الله سبحانه الملك المتعال بدوام دولة سعادتكم الزاهره بالعز وخلود النعم بداري

---

١) ان مكان النقط في هذه الرسالة كلمات خرقتها نيوب الأرضة .

الدنيا والآخره . انه في اشرف وقت اكيد وابهج طالع سعيد بزغ نور بدر المرسوم الشريف الحاوي كمال البشائر المسرّه وهو قدوم جناب افتخار ذوي المكارم والمحامد الفخام . حايز مراتب المجد والاحتشام عثمان اغا المحترم. وعن يده اوامر شريفه خاقانيه يشعر فحواهم (فحواهما) السامي . ومضمونهم (ومضمونها) العالي بان حضرة مولانا هامة السلاطين وخاقان الخواقين السلطان الاعظم . والخنكار الافخم سليمان الزمان ودار العصر والاوان غازي محمود خان ايّده العزيز الرحمن قد انعم على سعادتكم بابقاء ايالة صيدا والحاق ايالة طرابلوس شام وباشبوغتية الجردة لعهدة سعادتكم عن هذه السنه المباركه . فتقف السنة الاقلام وتجفّ افواه المحابر عن حصر بعض ممّا حصل عند هذا العبد الداعي من الطرب والسرور والبهجة والحبور . من هذه البشرى السنية السامية المقدار . والجليلة الاعتبار .

واشهرنا موسوم سعادتكم الشريف على رؤوس الخاص والعام وبادرنا بعمل شنك عظيم وانسرّت الخواطر وابتهجت القلوب وغردت الالسن بازدياد اداء الدعوات الصافيات لحضرة باري المبرزات بتخليد سرير سلطنة حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين . ظل الله الممدود على العالمين . ابّد الله سلطنته الى انتهاء الزمان وانقراض الدوران . ودعونا لسعادتكم واستجلبنا كافة الدعوات الخيريه من الرعايا والبرايا بتخليد دولتكم الزاهره وسطوتكم القاهره مدى الادهار . ونتوسل للباري تعالى جلّ جلاله وعمّ نواله ان يجعل اقمار سعد دولتكم مضيئة مدى الاعصار . ويحرس وجودكم الشريف من سائر الاضرار والاكدار . ويزيد سعادتكم عزّاً وقبول . ويحفظ شمسكم من الافول . وتكون ممدوده على سعادتكم غير محدوده . وان شاء الله تعالى السميع العليم تكون ابرك السنين والاعوام على سعادتكم وعلى سائر عبيدكم ورعاياكم . وعلى ألحق الاجابة وغاية رجانا عدم هجرنا من الخاطر العاطر . واطال الله بقاء سعادتكم للدوام بحرمة خير الانام وآله وصحبه الكرام .

٧٠

اوصاف

عمدة التجار المعظمين . قدوة الاكابر المعتبرين . محبّ الفقراء والمساكين . ومحسن على الارامل والمنقطعين . من فاق بحسن سيرته النجوم الزواهر . وبجميل طلعته البدور السوافر . وشاع في الخافقين ذكره وثناؤه رغم انف كل مكابر . . .

اوصاف

الدرّة المصونة . والجوهرة المكنونة . المتصفة بالعزّة والكمال والدين . والمحجوبة بحجاب الحيا . والجلال عن اعين الناظرين . درّة اكليل الدولة الزاهرة . وغرّة جبين السعادة الباهرة . قدوة المخدرات المعظمات . عمدة الموقرات المكرّمات . عليّة الذات جميلة الصفات . نتيجة الدول والسادات . تاج النساء في العالمين . سلالة الملوك والسلاطين . صاحبة افضال الخيرات . ساحبة اذيال المبرّات . . .

٧١

اعراض لوزير عالي الشأن

انه في اشرف اوان حميد وابهج طالع سعيد بزغ اشراق انوار المرسوم الكريم الواجب التكريم والتعظيم . المشعر فحواه المنيف . ومنطوقه الشريف . مراسيم ازدياد رضاكم العالي وتوجيه الخواطر الاصفيه والمكارم الحاتميه . على هذا العبد القديم . والرقيق المستديم . بما افاضت به بحور مراحمكم العميمه . ونعمكم الجسيمه . بما تدني انجبارًا على طول الايام . وكفاني افتخارًا بين الانام . وهو الخنجر المجوهر الفاخر . المتشرف بملبوس سعادتكم الزاهر . فقد قابلناهم بجزيل الدعوات لباري الارض والسموات . بان يزيد دولتكم الزاهره . ويخلد في سما . الاقبال اشراق كواكب سعادتكم الباهره . وقد حصل عبدكم من عميم نعمكم مثقّل الكاهل . ومتوشح بثوب ايدي لا يُفكّ الابايدي الغاسل . وليس له لسان يقوم بتأدية ما يجب من الحمد والشكر

سوى ادامة التضرع والتوسل لله تعالى الملك المنان. ان يديم لنا وجود سعادتكم الشريف . وظلّ سؤدد دولتكم المنيف . ما دامت الازمان . ولا يغرب عنا كواكب سطوتكم القاهره ما تعاقب الملوان. ولا زالت سحائب جودكم تفيض بالنعم . ومناهل سماحتكم غارقة كالديم .

والآن تجاسرنا بترقيم عريضة الدعاء عن يد اخينا عبدكم خليل اغا المكرم لايضاح ما هو واجب على هذا العبد بمواظبته على وظيفة الدعاء الحَريّ للملك الجبار . بدوام دولتكم الزاهره فوق رؤوسنا مدى الادهار . وان الله على كل شيء قدير. وبالاجابة جدير. وارجو عدم طردي من دائرة رضاكم . . .

٧٢

مكتوب

المرء لا تكثرُ اعداؤهُ الّا وفيـهِ شرفٌ ناهضُ
الم ترَ الحلوَ واضدادهُ المرُّ والملح والحـامضُ

جناب لبيب خسدت محابره الليالي وكواغده الايام . والفاظه الدراري وراحته الغمام . لا زال الى اوج المعالي يرقى ويصعد ولا خلاه الدهر من حاسد فان خير الناس من يُحسد .

غب الدعاء ببلوغ حواسده غاية الاعمار . حتى يروا من سيادته ما يعمل في ظواهرهم وبواطنهم ما لا تعمله النار ولا البتّار . ففي ابرك وقت وقفنا على الكتاب المرسول منكم لحضرة ابن خالكم الياس . فحصل لنا بـه كمال الايناس. وبقي معلومنا اضطراب من تلك الاخبار. وان القصد احاطة علمكم لمن اشاعها من الاشرار . فيا ايها العزيز نحن نشير الى ذلك على سبيل الاجمال لا التفضيل . ونقول ما قاله الشاعر النبيل :

ولكلّ شيءٍ آفةٌ من جنسِهِ حتى الحديد سطا عليـهِ المبردُ

وهناك الامر كما تحقق عند جنابكم من الحسّاد . الذين يسعون بالفساد. فاذا كان كذلك . . . الحسود . . . ويكفيه انه دائمًا ينتم بسروزك . ويتعذب بنعيمك وحبورك كما قيل شعرًا :

دع الحسود وما يلقاهُ من حسدهِ يكفيك منه لهيب النار في جسدهِ
ان لمتَ ذا حسدٍ فرّجتَ كربتهُ وان سكتّ فقد عذّبتهُ بيدهِ

وقد جرت سنّة الله من اول الوجود ان كل ذي نعمةٍ محسود . قال الشاعر :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيهُ فالكلُّ اعداءٌ لهُ وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ظلماً وبغياً انهُ لمشومُ

فتلخص من هنا انه لا مُجد الّا من ساد . واُختص بمزايا خلت عنها الحسّاد . والسيد اذا قدر صفح . واذا سُئل منح . واذا حضر يهاب . واذا غاب يُنتاب . فيجب عليه ان يجعل شكر سيادته الصفح عن حاسده الجاني ولا يقصد له مضره . او يرفع امره لله الذي لا يظلم مثقال ذرّه . ويحق له عند ذلك ان ينشد قول الشاعر الماهر مخاطباً لحسوده الفاجر :

ملكنا فكان العفو منّا سجيّةً فلما ملكتم سال بالدم ابطحُ
فيكفي الورى هذا التفاوت بيننا وكلُّ اناءٍ بالذي فيهِ ينضحُ

هذا وارجو دائماً مواصلتي بالمراسلة وبما يقتضي من الاغراض والدعاء . ثم ان اهل محلّ القلانة الذي هم اهلها ان يزالوا يثنون على الجناب بما هو اهله . ويضرعون الى الله تعالى انه لا يزال مجموعاً بالسعادة شمله . والمتعبر عند امثالكم الكرام . لا الطغام اللئام اولاد اللئام . قال الشاعر :

اذا رضيت عني كرامُ عشيرتي فلا زال غضباناً عليَّ لئامها

٧٣

غيره

جناب من اذا لفظ انفت نجوم الثانيات منظوم عقودها . واذا كتب غارت من نقطهِ وألفاته شاماتها وقدودها . ومن رقّت منه الالفاظ. حتى كادت تشربها مسامع الحفّاظ. لا برحت بحار فكره للدرّ قاذفه . ولا فتئت السعادة على ابوابه واقفه .

غب اتحاف جنابه بعرف شوق يفوق العنبر . ويزري بالعبهر . ناشيء عن صميم فؤاد جُبل على ثقته وحبه . ولا يزال وان بَعُد جسمه متنعماً بقربه. ودعاء تزول الراسيات ولا يزول . متعلقاً باذيال القبول . فالمعروض وصول مشالات جنابكم وارتياح القلب بعذب خطابكم واحاطة العلم بما اسديتموه للخواجه فارس الدهان وزين شبقلو ونادر سيف من المعروف . فــلا زلتم ملجأ لكل مضطر ملهوف . ولا اعدم الله القلوب هذه المجابره . ولا الاسماع لطيف تلك المسامره والمسايره. واللسان عن شكر مزاياكم الحميده في غاية القصر والقصور. لا سيما في شهر رمضان التي بلغت فيه الارواح النحور. والباعث لتحرير الاحرف الوافد بها اليكم . والقادم بها عليكم . اوحد ادباء الشام . ومن اصبح في وجنة الدهر وشام . وعلى ظهر الارض سلام . جناب الاخ العزيز الحاج عبد العال . لا يزال يحاكي هيئة الهلال . ويشهد بانه طُبع على اللطافة قول المثل. . . من ظرافة . فلا زلتم عوناً لاهل الادب . ولا زالت اللطافة تنسل اليكم من كل حدب . وان تشملوه باكسير النظر . واننا نؤمل حتى تخرجوا من بحر فكره نفائس الدرر . ودائماً تواصلونا بالمراسله لانها كالمواصله . وبما يسنح من الاغراض. وتقضى بلا اعراض . ومن جناب مولانا مفتي افندي وجناب ولده المحترم وسيدي ذردار اغا والحاج حسين وابو حسين يهدونكم غاية الاشواق. . .

٧٤

افادة تاريخية

وردت في صفحة ١٤١ هذه الافادة وهي :

انه في سنة الف وستماية وثمانيه ربانيه عصى علي باشا ابن جنبلاط في حلب لاجل ذلك عين السلطان ابن عثمان ركبه (حملة حرب) على المذكور ابن جنبلاط باربع كرات ترك من ناحية اسلامبول . وكانت الكونه (المحاربه) في مرج دابق قرب حلب وصل (واستمر) الحرب بينهم ثلاث (ثلاثة) ايام وبعد الثلاثة ايام قُتل علي باشا ونهبوا اسبابه وانحطت امه بيد الدلال على ثلاثين قرش واتفرق (وتفرّق) العسكر قشلق على معاملة الشام وحلب وطرابلس. وكانت تلك السنه صعبه في الغلا والدبق (الغلاء والضيق) هـ .

نُقل هذا التاريخ عن الاصلي حرفاً بحرف من دون زياده ولا نقصان سنة الثمانية وعشرين ربانيه بعد الالف والثاثايه صح .

وفي آخر هذه الصفحة افاد الشيخ جهجاه عن نسخه هذه « السفينة » بهذه العبارة وهي :

« علّقهُ بيده الحقيره جهجاه الدحداح وهو متخفي اي مهزوم من حاكم الوقت تحريرا في ٢٣ كانون اول سنة ١٨٢٨ الثانيه وعشرين وثمانايه والف بنايـة المجله صح صح واما كتابة الاحمر بعد الرجوع للبيت كتبناها صح » .

٧٥

ابراهيم باشا والامرنين

احتلال ابراهيم باشا سوريا سنة ١٨٣١ — ١٨٤٠

توطئة

انتهز محمد علي الفرصة ليمان انفصالهُ عن الدولة العثمانية ولتوسيع ممالكه وكان يحلم ان يضمّ اليها سوريا .

واذ مانع والي عكا عبدالله باشا محمد علي في نقل احطاب من لبنـان لصنع سفنهِ وآوى والي عكا فلّاحين مصريين كانوا لجأوا الى لبنان هرباً من الجندية المصرية ، تذرّع محمد علي بهذا السبب لاكتساح سوريا ، فوجّه اليها جيشاً عدده ثلاثون الفاً بامرة ولده ابراهيم الذي اجتاز السويس واستولى على غزّة وعكا بعد حصار استمرّ ستة اشهر وذلك سنة ١٨٣٢ ثم انه استولى على دمشق فدانت له سوريا باجمعها .

وقهر في حمص وبيلان جيشاً عثمانياً واجتاز طورُس ودخل آسيا الصغرى ودحر بعشرة آلاف جندي ستين الفاً من الجنود العثمانية في موقعة قونيا سنة ١٨٣٣ ، وانفتحت امامه ابواب الاستانة فهلع السلطان محمود واستنجد باوربا ، فلبّى نقولا قيصر روسيا نداءهُ وجهّز اسطولاً من خمس سفن وسبع مدمّرات رست في البوسفور في ٣٠ ايار سنة ١٨٣٣

ولم تجدِ احتجاجات فرنسا وانكلترا نفعاً واضطرّ ابرهيم باشا الى ان يوقع معاهدة كوتاهيه في ١٤ ايار سنة ١٨٣٣ . وقد ترك بموجبها لمزيز مصر سوريا ومقاطعة اذنه . ولكنَّ صلح كوتاهيه لم يستمرّ طويلاً اذ ان السلطان محمود جهّز جيشاً من ستين الف جندي دخل سوريا بامرة حفيظ باشا في موقعة نصيبين ومزّق الجيوش العثمانية وبدّدها .

ومات السلطان محمود فخلفهُ على العرش ولدهُ عبد المجيد ولم يكن لـهُ من العمر الّا ستة عشر عاماً .

وخشي القبطان التركي السلطان الجديد فسلّم الاسطول الى محمد علي في ميناء الاسكندرية .

وجزع السلطان الفتى فلجأ الى اوربا وقد أبلغته الدول العظمى الخمس انذارًا بعدم تسليم شيء الّا برضاها .

ثمّ ذرّ قرن الخلاف بين هذه الدول لتضارب الاميال وتنافر المصالح واوجست فرنسا وانكلترا خيفةً من اشتداد نفوذ روسيا وحاولتا اقصاءها عن الاستانة .

وعمدت انكلترا الى الكيد لفرنسا بخضد شوكة محمد علي ، فانتزعت منه سوريا واوصدت بوجهه البحر الاحمر والفرات لاعتبارها اياهما طريقي الهند . واضطرت فرنسا ان توقّع مع روسيا والنمسا وبروسيا معاهدة لوندره في ١٥ تموز سنة ١٨٤٠ وبمقتضى هذه المعاهدة أُبقيَ لمحمد علي ولذريته القطر المصري وولاية عكا مدى حياته فقط دون توارث ، ووجب عليه اخلاء كنديه وجميع ما كان قد احتلّهُ في سوريا وعربستان ، وأُلزِم باعادة الاسطول التركي الى السلطان وضُربت لهُ مهلة عشرة ايام لتنفيذ المعاهدة(١

الفونس دي لامرتين

١٧٩٠ — ١٨٦٩

وُلد في بلدة ماكون (Mâcon) بتاريخ ٢١ تشرين الاول سنة ١٧٩٠ وكان ابوه بالرغم من ميوله الى المبادئ التقدمية متشيّعًا للملكية . فاعتقله رجال الثورة مع اخويه بتاريخ ٥ تشرين الاول سنة ١٧٩٣ وظلّ سجينًا مدة سنة ثمّ اطلق سراحه دون ان يُمسّ بأذى . وهذا ما يفسّر اتزان لامرتين في آرائه عن الثورة الفرنسية .

في سنة ١٧٩٧ توفي جدّهُ وتقاسم اولاده ثروته فكان بيته في ميلي (Milly) من نصيب والد لامرتين، وكثيرًا ما اتى لامرتين على ذكره في ابياته لانه فيه ترعرع اذ كان في السابعة من عمره عندما انتقل اليه مع ابويه واخوانه الست .

بدأ بدرس العلوم على يد الاب ديمون (Dumont) ثم انتقل الى ليون وسلّمه ابوه الى معهد بوبيه (Pupier) حيث لم يلبث ان فرَّ مع اثنين من رفقائه بتاريخ ١٧ كانون الاول

---

١) نشر الخور اسقف بولس قرألي المؤرخ المعروف ، مخطوطتين معنونتين « الجزء الاول من كتاب حروب ابراهيم باشا المصري في سوريا والاناضول . المطبعة السورية بمصر الجديدة سنة ١٩٢٧ في ٦٧ صفحة بقطع كبير والجزء الثاني بالمطبعة المذكورة سنة ١٩٣٧ في ٧٣ صفحة .

راجع ترجمة ابراهيم باشا المصري بمجلّة « كوكب البريّة » الجزء السابع تموز سنة ١٩١٦ صفحة ٤٢٦ ، السنة الرابعة .

سنة ١٨٠٢ ، وفي بدأ العام الدراسي من سنة ١٨٠٣ أُدخل لامرتين الى معهد بلّي (Belly) بادارة آباء الايمان (Les Pères de la foi) وبقيَ فيه حتى سنة ١٨٠٨ .

من سنة ١٨٠٨ حتى سنة ١٨١٦ زجّى ايامه في المطالعة والسفر. سافر الى ايطاليا في سنة ١٨١١ وبقيَ حتى سنة ١٨١٢،وعلق في ذهنه من هذه الرحلة ذكر «غرازيلّا» (Graziella) وفي هذه الفترة تعرّف الى التي قُدّر لها ان تذكي عبقريته الفذّة بالحبّ الذي اوحته اليه والالم الذي خلّفه موتها في حياته . تلك التي خلّدها تحت اسم الفير (Elvire) في قصيدة « البحيرة » .

في سنة ١٨٢٠ ظهر اول ديوان له تحت اسم « تأملات » (Méditations) وفي السادس من حزيران من ذات السنة تزوج من فتاة انكليزية اسمها ماريان اليزا بيرش (Mariane Elisa Birch) ، ثم عيّن ملحقاً في السفارة الفرنسية في مملكة (Naples) . وفي سنة ١٨٢١ رُزق ولداً لم يعمّر طويلاً . وفي سنة ١٨٢٢ ولدت ابنته « جوليا » التي رافقته الى لبنان .

وتتابعت مؤلفات لامرتين من التأملات الجديدة (Nouvelles méditations) الى موت سقراط الى آخر نشيد من رحلة هارولد من سنة ١٨٢٥ حتى سنة ١٨٢٨ التي عيّن فيها قائماً باعمال السفارة الفرنسية في فلورنسا وظهر كتابه الايقاع (Les Harmonies) سنة ١٨٣٠ وهي سنة قبوله في الاكاديمية .

وفي سنة ١٨٣١ ترشح للنيابة واخفق. وقام برحلته الى الشرق سنة ١٨٣٢ فزار اليونان ولبنان وفلسطين حتى صحراء مصر . وفي لبنان سكن مدّةً في دير عينطورا — مدرسة عينطورا الشهيرة — ولا تزال الى اليوم غرفته فيها معروفة باسمه وتدعى غرفة لامرتين — وماتت ابنته جوليا في بيروت سنة ١٨٣٣ ودُفنت فيها ، مما اورثه مرارةً ألينةً بثها في قصيدته الجهانية . ووصف رحلته هذه في كتاب مستقل ظهر سنة ١٨٣٥ .

أُنتُخب لامرتين اثناء غيابه في رحلته الى الشرق ، نائباً في البرلمان الفرنسي وبقيَ محتفظاً بمنصبه هذا حتى سنة ١٨٥١،دون ان يؤثّر ذلك على انتاجه الادبي،فوضع «جوسلان» سنة ١٨٣٦ « وسقوط ملاك » سنة ١٨٣٨ «وتأملات شعرية» سنة ١٨٣٩ وظهر كتابه الضخم « تاريخ الجيروندان » سنة ١٨٤٧ .

في ١٠ من شهر كانون الثاني سنة ١٨٤٨ ترشح لرئاسة الجمهورية ولكنّه فشل. واعتزل الحياة السياسية سنة ١٨٥١ مثقلاً بالديون مما اضطره للتأليف بسرعة وبكثرة ، فجاءت مؤلفاته وكأنها ثمرة اشغال شاقة وكبا عند اللحاق بروائعه السابقة .

واهدته مدينة باريس قصر « باسي » (Passy) سنة ١٨٦٠ ، ومُنح معاشاً سنة ١٨٦٧ الى آخر حياته ومات في « باسي » بتاريخ ٢٨ شباط سنة ١٨٦٩ ، ويرقد جثمانه في سان بوان (Saint-Point) .

***

ابحر لامرتين من مرسيليا في ١٠ تموز سنة ١٨٣٢ على الباخرة السست (L'Alceste) وحمولتها ٢٥٠ طنًا معقودة اللواء للربان بلان (Blanc) وقد احاط لامرتين سفره بابهة وبذخ واصطحب طبيبه لارويار (La Royère) وصديقيه برسفال (Parseval) وكبنس (Capomas) وستة من الخدم وزوجته وكريمتها جوليا ومرّ في مالطه واليونان وبدت له هذه البلاد جرداء وكانت الخروب منتشرة فيها وبلغ بيروت في ٦ ايلول سنة ١٨٣٢ وتجلّى لـه لبنان بمناظره الرائعة الفتّانة. وانزل في سفوحه زوجته وابنته التي كانت مريضة وقد ساءت حالتها من مناخ البحر . امّا هو فاخذ يتجول مع حاشيةٍ مؤلفة من خمسة وعشرين فارساً طيلة خمسة واربعين يوماً في مقاطعتي الجليل وفلسطين، وعاد الى بيروت عبر طريق قيصرية وصور وصيدا، وكان الطاعون قد فتك في القدس فتكاً ذريعاً ولم يكن باستطاعته زيارتها الّا بفضل ابراهيم باشا. وعندما عاد الى بيروت احتسب ابنته جوليا بتاريخ ٦ كانون الاول سنة ١٨٣٢ اثر علّة صدرية . وله كتاب « رحلته الى الشرق » نُشر في ٦ نيسان سنة ١٨٣٥ . وعند ايابه بطريق القسطنطينية والدانوب مرض مرضاً شديدًا في احدى قرى بلغاريا ، وقد سبّبت له هذه السفرة خدلاناً وخيبةً فقال : « ان البلاد التي كنتُ اتوق الى رؤيتها قد بدّلتني فلم ابقَ ذاك الرجل من حيث خلقي وخُلقي حتى ان فلسفتي قد تغيّرت تماماً» ولكنّ افق مخيلته قد زاد اتساعاً باتساع الصحراء التي لا خطوط معيّنة لها ولا حدود. . . (١

كان لامرتين شاعرًا عبقريًا فيّاض القريحة جميل الاساليب؛ على شعره مسحة من الرقة والحلاوة ، كأنه بشعره المبطّن بالعاطفة يحرّك فيك كوامن الشعور والاحساس ويقتادك وراءه بالرغم منك برقة شعره وجذل اساليبه وبديع خياله، فلا تحسّ الّا وانت تجري وراءه لتسمع اياته وتطرب بلذّة ايقاعه وتنعم بنعومة عاطفته. ان هذا الشاعر لما وصل الى بيروت كتب الى ابراهيم باشا ابن محمد علي يخبره عن وصوله الى بيروت ويطلب منه ان يؤمن له طرق السياحة . فلبّى ابراهيم طلبه برسالة انفذها اليه مع مرسوم توصية به اتماماً لارادته . وهذا نصّ الرسالة الجوابيّة والمرسوم المسطّران في هذه المجموعة الخطيّة المسمّاة«السفينة» وهما مصدّران بهذه العبارة بحبر احمر وهي :

(١ Lamartine, par René Doumic — Librairie Hachette, 1922, p. 75 et s.

صورة بيولردي من سعادة ابراهيم باشا والي عسكر مصر
الى حناب الامير الفونسو دي لامارتينو (الفونس دي لامرتين)
الذي حضر للشرق وصحبته اعيالهُ (عائلتهُ) لاجل السياحة في سنة ١٨٣٦

فخر الملّة المسيحية ومعتمد الطائفة العيسوية محبّنا العزيز الكونتي دي لامارتينو حفظه الله تعالى .

بعد اهدا. زواهر المحبه وادا. جواهر المودّه . والسؤال عن عزيز خاطركم . نبدي لمحبتكم انه بايمن آن حظينا بورود مكتوب مودتكم وفهمنا ما ذكرتوه عن قدومكم الى بيروت بقصد السياحه بهذه الاطراف وافدتم عن زيادة السرور الذي شملكم لقدومنا واستيلائنا على هـذه المحلات وطلبتم مرسوم بالتوصاه (بالتوصية) عليكم الى الحكّام . جميع ذلك صار معلوم وقد حصل لنا مزيد السرور من قدومكم بالسلامه وتضاعف لورود مكتوبكم هذا حيث انه اكبر دليل على صدق المودّه . فامّا المرسوم مطلوبكم قد تحرر بكل تأكيد وهو واصل بطيّه . وباي وجه كان من دون شك لا يحصل لجنابكم من احد من خدّامنا سوى الرعايه والاكرام حيث يعلموا زيادة ميلنا الى كل من كان يخص الدولة الفرنساويه حفظاً لشروط المحبة اقتضى افادتكم بذلك . وفيما بعد نرغب عدم حسم تحريراتكم والله يحفظكم .

في ٢٧ ر سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢ م)

صورة مرسوم بهذا الخصوص

صدر المرسوم المطاع الى كافة الحكّام والمتسلمين والمحافظين في ايالة صيدا والشام وحلب بوجه العموم .

ان فخر الملّة المسيحية محبّنا السنيور الكونتي دي لا مارتينو (لامرتين) احد امرا. دولة فرانسا قصده السياحه مع اعياله واولاده بهذه الاطراف . فيلازم بوصوله لطرف كلّ منكم يكون له الحمايه والصيانه ومزيد الاكرام من كل وجه ولا احداً يعارضه بمروره . واذا اقتضى له دواب لركوبه من محل الى محل فيكون مساعداً لتمام مطلوبه . ثم واذا كان متوجه في طريق غير امينة يلازم

اصحابه بعساكر يوصّلوه الى محل مقصوده آمناً مطمئناً اعتمدوه غاية الاعتماد.

امير الحاج والي جده وسر عسكر مصر[١]

٧٦

مكتوب[٢]

جناب السيد الاجل المحترم دام بقاه .

غب اهدا، ما وجب ولاق من انواع الاحترام والحظوى بلثم اياديكم (ايديكم) بكل خير وعافيه والسؤال عن خاطركم الكريم والاستكشاف عن المزاج اللطيف فان شاء الله تعالى تكونوا جنابكم حايزين كمال الصحه وجمال المنحه مع تمام الانشراح لان ذلك مما يسر محسوبكم . نترجى تطمنونا عن انشراحكم . وغب ذلك نوضح لجنابكم بخصوص المبلغ الذي لنا يا محاسيبكم نحن واخونا الشيخ منكون الرامي ضمانة جنابكم وقدره ٣٧٫٢ ^ تلاتمايه وتنين وسبعين قرش ونصف القرش . وليس خافي جنابكم ما حصل بهذه النواحي من قبل الحوادث التي جرت وبالخصوص على اهالي فالوغا واخونا المرقوم بالاحتياج الكلي لهم وصار مطالبنا جملة امرار ويورينا الحال بهذه السنه ويشكي ونحن كذلك يا محسوبكم لا نقدر نشرح زود اللزوم ولوما ذلك لم كنا نطلبهم لا نحن ولا اخونا المرقوم. نترجى تكرموا بهم ولا يكون ذلك بنوع ايفيَ (ايفاء) مقارضه (قرضة) بل بنوع السماح من جنابكم . ولنا الامل بغيرتكم لا نُصَدّ حيث كما سبق الاحتياج. لذلك تم نشرح لنا حساب ضمن جناب افنديانا الامراء اولاد الامير نصر وطلبنا المحاسبه جملة امرار عن يد الاجاويد المطرح (المحلّ) ولم صار قبول من جنابهم وبهذه الواسطه يضيع علينا مبلغ تلاتماية غرش . نترجى حيث خلوص غيرتكم قبل وبعد اذا نظرتم محلّ لذلك تقدّموا الاعراض لمسامع سعادة افندينا عمر باشا الافخم[٣] وتترجوا بجر حله بأمر لجنابهم يجروا المحاسبه معنا والذي يبقى له ضمن الآخر يدفع. وان

١) ان امضاء اسمه ضمن طغراء خاصّة به شبيهة بعض الشبه بالطغراء العثمانية .

٢) هذا المكتوب ارسله يوسف فاضل الى الشيخ بشاره الدحداح كما يتضح فيما بعد .

٣) بعد ان ولّي حكم الامراء الشهابيين في جبل لبنان ، تولّى الحكم عمر باشا .

حصل تمليل يمضي بديوان شورى بيروت. وفيما بعد نترجى الاعلام لكل خدامة تلزم ودام الله بقاكم .
محب داعي

في ١٤ ص سنة ٥٨٠
يوسف فاضل

النيشان (العنوان)

يكرم براحات الجناب الاكرم حضرة السيد الاجل الماجد المحترم (برفع الاسم[1]) الشيخ بشاره الدحداح المحتشم دام الله بقاه .

٧٧

جواب

جناب افندينا الاجل المحترم .. ادام الله بقاه .

بعد لثم ايديكم الكرام بوفور الاحتشام ومزيد الاشواق الوافره الى مشاهدة تلك (ذاك) المقام السامي بكل خير . ثم انه بالطف وقت ورد مرسوم جنابكم الكريم وفهمناه وحمدنا الباري بهداوة بالكم وجميع ما رسمتم بقي معلومنا وبه متنازلين بالسؤال عن حال محسوبكم وبنا يديم لنا وجودكم. هذا ما نتأمله من عواطف مزايا جنابكم الحميده . فمن نحونا لله الحمد بحسن نظركم حايزين كمال الصحة والعافيه فلا زلتم جنابكم بدوام النعم الكافيه . وعاتبين علينا بعدم توجيه اعراض لديكم فاذا كان ذلك حقيق يحق العتب ومع انه تقدم منا اعراضين لديكم الكرام واخص توجيهم بالاستكشاف على رياضة البجل المحروس لاننا نحن بعين تراز حقيق واما فكرنا باقي عنده لاننا فارقناه منحرف المزاج والآن صيرتونا ممنونين افضالكم حيث اوضحتم لنا عن صحته. ومن مادة شراب الاصول الآن في الدار لم موجود واما رسم جنابه انه بيرسل يطلب من الدير وبعده يصلكم . واول البارح توجه لحضرتكم تحرير من جنابه ومن حضرتها تحرير وخرجيه صحبة كريم ان شاء الله تعالى يكونوا بلغوا لديكم وجنابكم باوصاف الصحه . ومنا لثم انامل الانجال المحروسين واهدا ما يجب ويليق بوفور السلام بانواع الاحتشام لحضرة والدتهم المحترمه. وشكراً لفضلكم حيث طمنتمونا على صحة محسوبين بابكم اولادنا وهذا املنا احاطة نظركم ودام بقاكم للدوام. الداعي لجنابكم معلوم

١) اي ان يرفع اسم الشخص عن سياق خط السطر لاجل التكريم .

٧٨

جواب الخلع

تشرّفنا بورود المرسوم الشريف وفهمنا فحواه السامي المنيف . ودعونا لله يزيد العزّ والنعم لسعادتكم وما انعمتم به علينا من بحر حلمكم العميم بارسال الخِلَع الفاخره والشبرطنامات العاطره على التزام مقاطعات بلاد جبيل وتوابعها بَقي معلوم عبدكم وتسربلنا بالخلعه السنيه وتلونا مرسوم سعادتكم على رؤوس الملا والاشهاد واخذنا نحن واياهم بوضيفة (بوظيفة) الدعا لحضرة مولانا السلطان نصره العزيز الرحمن ، وبتأييد اقتدار الدولة العلية صانها ربّ البريه وبتخليد دولتكم الزاهره وسطوتكم الباهره . وقد طمّنا الرعايا كافةً بحصول الراحة المديده بايام اقبال سعادتكم الوطيده . ومن نحونا ان شاء الله تعالى بحسن انظاركم الشريفه لم يحصل منا تهاون عن ادا الاموال الميريه وتمشي الطُرُق السلطانية كما الخاطر العاطر يشهد بصحة المساعي الآئلة لرضاكم الشريف حيث انني دائماً اترقب وفود كل خدامة تلزم فأؤمر بها ورجا اقندم الّا ابرح من البال السليم واطال الله تعالى بقاكم . (يتبع)

LES YÉZIDIS (*suite*)

PAR

LE PÈRE THOMAS BOIS, O.P.

III
CHEMINEMENTS INCERTAINS DANS LES VOIES DE L'ISLAM

Ce que nous avons dit jusqu'ici montre que les origines des Yézidis ne sont pas évidentes à première vue. Si encore les Yézidis eux-mêmes étaient capables de nous éclairer, on pourrait avoir recours à leurs explications. Mais leur religion est plus ou moins secrète et, d'autre part, beaucoup d'adeptes ne sont pas initiés et ne savent qu'imparfaitement d'où ils viennent et ce qu'ils sont. Le sacristain et la chaisière ne sont peut-être pas les plus à même de nous exposer les mystères de l'Eucharistie, par exemple, et un bon catholique moyen serait sans doute bien en peine de nous dire le pourquoi de telle ou telle cérémonie du culte à laquelle pourtant il assiste avec piété. Aussi l'Émir Ismail, par exemple, n'est pas tellement un guide sûr et un témoin auquel on puisse se fier, car il n'évite pas les contradictions. Par contre certains chefs religieux, bien informés ceux-là,

اليزيدية

نبذة تاريخية واجتماعية في اصلهم الديني

اصل اليزيدية الديني — والعراق مركز عباداتهم — قد اجهدت معالجته ذكاء باحثين كثيرين. فان عدد الذين تكلموا على اليزيدية كبير: رحالة ومحررو الجرائد علماء الآثار ومرسلون مستشرقون ومؤرخون غرباء ووطنيون جدّوا في تعريف اخلاق وعوائد من ادّعوا بانهم عباد الشيطان واجتهدوا في انارة سرّ اصلهم. منهم من اعتمدوا على نصوص دينية صحتها التاريخية هي موضوع جدال. لكن كل نتاج هذه البحوث يجب غربلتها فان الزؤان يجاور فيها القمح الجيد.

وبالحقيقة كم من النظريات الغريبة نُصبت فيها: عبادة بابل للشمس ثنوية زرواستر. وثنيّة كردية اصلية، فرع من الفرق المسيحيّة، هذه بعض من الاحتمالات المعروضة عن اليزيدية. لكن هذه الآراء لا تعطينا الا تأويلات جزئية وبالكاد. مع ذلك كان لا بدّ علينا ان نعرضها وان نردّها حتى ندخل في المسألة علمياً.

بالحقيقة نحن امام بدعة انسلّت من الاسلام. ولاثبات ذلك يُلاحَظ سلوك اليزيدية الخارجي قبل التعمّق في معتقداتهم الدينية. — فالجوّ الاسلامي يظهر في الاسماء، في وضع التاريخ، في الامتناع عن رسم الوجه الانساني وفي الختانة وفي امور اخرى. نقدر ان نزيد على ذلك الذبائح واكرام القديسين. وايضاً تقليد للحج الى مكة حيث نجد رُتب اسلامية واصطلاحات عربية غريب وجودها عند اكراد. فان اليزيدية هم اكراد. ما عدا ذلك كل مناهجهم صوفيّة: فالقديسون المكرّمون هم صوفيّون معروفون، والطبقات الدينيّة صوفية هي، والصلوات وغيرها من النصوص الدينية لها صلة غريبة بكلام وبفكرة الصوفية. كذلك تبدو مشابهات مع الروحانيين «السكرى» من الاسلام في الآراء المتطرّفة فيما يخص بدء العالم والانسان والتجسد والتقمص ورجوع ابليس النهائي الى مقامه الاول. وهكذا يكون قد كفانا اكتشاف الحجار البارزة من بناء الاسلام وشيعه حتى نجد اليزيدية بتمامها.

بقي علينا ان نثبت كيف اليزيدية ابتداء بتقديس مسلم صحيح الشيخ عادي (نحو سنة ١٠٧٣–١١٦٢) توصلت اليزيدية الى اضاليلها الحاضرة تم تجازها بالتدريج. فتح الطريق للبدعة ابن اخي مؤسس الزاوية شمس الدين حسن (١١٩٧–١٢٤٦) . انقسم التابعون الى فرقين : احدهما ارتحل الى سورية ومصر (قرنة)وفيها استمر زمانا ليس قليلا في الدين الاسلامي الحقيقي باسم «العادوية». الفرع الثاني بقي في ما بين النهرين وفي شرقي الدجلة وانه لم يفقد فقط كل مخالطة عقلية مع تلاميذ محمد لكنها اسرعت في الابتعاد منهم فيما يخص التعاليم الدينية ثم اصبحت اخيرا معادية لهم . ثم ابتداء من الجيل السابع عشر لم ينتج من المذابح الدورية الا تورط اليزيدية اكثر فاكثر في ممارسات واعتقادات غريبة وسرية.

الشروح الانتقادية العديدة المفصلة لا بد ان تقنع القارئ بان اليزيدية ولو انه لم يبق لهم اليوم شيء من الدين الاسلامي فليس امر سهل انكار اصلهم الاسلامي .

توما بوا الدومنيكاني

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي

دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس

دكتوراه الدولة من السوربون

قال له قائل : وكيف ذلك ؟

قال : من أجل أنه لما عمت[ي] أنوار العطاء في قلبه ، واتسع قلبه وانشرح صدره — فرحت نفسه بخروجها[ا٢] من تلك[ب٢] المضايق الى فسحة[ت٢] التوحيد. فتركت المنزلة لهذه[ث٢] الجوارح ، واخذ[ج٢] ينطق بما فتح الله له من شأن هذا الطريق ، ومما[ح٢-ح٢] تراءى له[ح٢] من الحكم والفوائد وعلم الطريق. وخالط الناس على[خ٢] ذلك . فأكرم وبجل . فقبل إكرامهم وتبجيلهم . ثم أعطى على ذلك فقبل نوالهم . خدعته نفسه فانخدع لها . وموهت عليه فقبل تمويهها.. وانبعثت[د٢] عليه الدنيا عفوًا لا صفوًا !

فوثب هذا الأسد المتماوت وثبة من حينه[ذ٢] فركب[ر٢] عنقه . وذلك (انه) لما اصاب تلك اللذات ، التي كانت زالت بالفطام عنها ، استيقظ[ز٢] . فصارت (نفسه) بمنزلة السمكة ، التي[س٢] انفلتت من الشبكة : فهي أشد غوصًا[ش٢]

ليقربوا ويدققوا في الوقت نفسه المعاني الخاصة التي يقصدونها ، فتراهم يقولون : طريق الحق ، طريق الخاصة ، طريق الصوفية . وهم لا يقصدون من ذلك تأسيس مذاهب او طرائق تناقض الشريعة من قريب او بعيد ، بل اقامة منهج راسخ يعمد اولًا وقبل كل شيء الى تحقيق اوامر الشريعة والتعمق في معانيها واسرارها . انظر شفاء السائل ص ٧٤ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ؛ الاحياء ، مقدمة ؛ فوائح الجمال ، ٢ : ٩٤ ؛ عبهر العاشقين ص ٣٨ ، ٩٩ ؛ طبقات الصوفية : ٢٦ ، ٣٨٣ ، ٤٧٢ ؛ اصطلاحات : ١ ، فصوص : مقدمة ؛ الطريقة المحمدية لابن تيمية ؛ E. I. IV, 700 ÷ .

ي عملت F ، علت V . ا٢ بخروجه VF . ب٢ — V .
ت٢ محبة V . ث٢ بجذه F . ج٢ فأخذ V .
ح٢ — ح٢ ويحارب انا V . خ٢ — F . د٢ وانبثت VF .
ذ٢ حشية V . ر٢ فركبت VF . ز٢ ايقظ F ، انقط V
س٢ قد V . ش٢ عوضًا F .

واضطرابا ، لا تأمن[ص٢] على نفسها أن تؤخذ[ض٢] . فصارت[ط٢] النفس كذلك منفلتة[ظ٢] من شبكة[ع٢] صاحبها ، فهي أشد وأصعب من ان يظفر[غ٢] بها . فاحذر هذا الباب ! فإني رأيت وعاينت كل من أفسد طريقه ، وأدبر[ف٢] ناكصاً على [ب/١٥٤] عقبيه ، فمن ههنا سقط وزلت قدمه . فلم يزالوا في ذل وصغار ، قد نفتهم قلوب الصادقين ، ومقتهم جمهور العلماء[ق٢] .

وذلك أنهم هرآب متصنعون ؛ لا هم[ك٢] يتوبون من هذا الامر ويتطهرون ويصحون[ل٢] ويستقيمون في سيرهم[م٢] ؛ ولا[ن٢] تسمح نفوسهم[ن٢] بأن يصيروا الى أعمال الأركان ، لان فيه مشقة[ه٢] وضيقاً ، وقد كانوا اصابوا الروح والسعة . فلا قلوبهم مشغولة بحق[و٢] الله ، ولا «[ي٢] ابدانهم مشغولة بعبادة الله »[ي٢] . وقد عطلوا الأركان عن العبادة ، وعطلوا القلوب عن السير الى الله عز «[ا٣] وجل »[ا٣] ، وقطع مسافة المنازل . فصاروا ضحكة الشيطان ، ويرم[ب٣] القلوب ، وثقلا على الفؤاد . يسيحون في البلدان ، يخدعون[ت٣] الضعفا . والجهال والنسا . عن دنياهم . ويأكلون بما يبدون من الزهد[ث٣] ، والسمت الحسن[ج٣] ، وكلام الرجال . تراهم الشهر والدهر في الاحتيال[ح٣] والاصطياد . ويجرون المنافع بالرقي[خ٣] ، ويباشرون الاعمال على المنى[د٣] ، ويتخيرونها[ذ٣] على العمى[ر٣] !

ص٢ لا يأمن F .
ض٢ توحد F ، توجد V
ط٢ وصارت V .
ظ٢ منقبة F .
ع٢ مشبكة V .
غ٢ يظم V .
ف٢ فادبر V .
ق٢ العامة V .
ك٢ – V .
ل٢ ويصححون V .
م٢ عزمهم V .
ن٢ – ن٢ – F .
ه٢ حقة V .
و٢ بعبادة V .
ي٢ – ي٢ – V
ا٣ – ا٣ – V .
ب٣ ويرى V .
ت٣ يخندعون F
ث٣ العدو F .
ج٣ – V .
ح٣ – الاختبال F
خ٣ بالرق F .
د٣ النهى V .
ذ٣ ويتخيرون للاعمال VF .
ر٣ النى F .

فالكيس أدركه التوفيق من ربه . فثبت ههنا عندما جاشت الحكم في صدره ، وراودته[ز٣] نفسه على[س٣] مخالطة الخلق ؛ تزعم له[ش٣] بخداعها[ص٣] أنه قد اصاب من القوة ما يباشر هذه الامور . فيرجع بعقله عليها ، فيقول : كيف آمنك على أمور ، وأنت معروفة بالخيانة ، ومعك آلة الخيانة ، التي[ض٣] تدعى شهواتك ؟ ويعزم[ط٣] على[ظ٣] ألا[ع٣] يقضي[غ٣] شهواتها[ف٣] ومنيتها . فأيده الله تعالى ، وثبت ركنه . وعزم على تجنب[ق٣] هذه الشهوات كلها ، ما ظهر منها وما بطن . حتى اذا مر في عزمه ، فاستفرغه وبلغ الغاية من ذلك + (و)ظن انه قد أماتها ، فاذا هي بمكانها ! وذلك انه بلغ الغاية في روض شهوات الدنيا ، وبقيت لذة الطاعات والنفس حية بمكانها .

فمن ههنا زلت أقدام طائفة منهم . فقالوا في أنفسهم : أنقعد فراغاً هكذا ، نبطل[ك٣] أعمالنا في القعود معطلين ؟ بل ننغمس[ل٣] في أعمال البر ، فكل ما زدنا منه[م٣] ازددنا به قربة الى الله تعالى . فيقال لهم : هذا (هو) الداء الدفين فيكم ، وأنتم به جاهلون ! متى وجدت[ن٣] نفسك لذة الطاعات[ه٣] وحلاوتها فأجبتها[و٣] صرت[ي٣] مفتوناً بها . فتأمل[ا٤] هذا المكان ، فان فيه مسرحاً من مسارح النفس ومصيدة من مصايد الشيطان . وأعوذ بالله ممن يصير مفتوناً[ب٤] بالطاعة[ا٤] !

ز٣ + عن عن V .   س٣ عن V .
ش٣ – F .   ص٣ بخدعتها F ، بخدعها V .
ض٣ متى F .   ط٣ ويسحو V .
ظ٣ + حتى V .   ع٣ لا V .
غ٣ اقضى V .   ف٣ وطرها V .
ق٣ رفض V .   ك٣ نبطل V .
ل٣ نكس V .   م٣ – F .
ن٣ اوجدت V .   ه٣ الطاعة V .
و٣ فاغا تجيبها F ، تحبها V ، + حتى F .   ي٣ بصبر F ، نصر V ، + جا F ، بالطاعة V .
ا٤ – ا٤ – V .   ب٤ عفونا F .

أما[ت٤] بلغك الخبر ، بن جزيج[٢٠][ث٤] الراهب ، حيث نادته أمه وهو في الصلاة ، وآثر[ج٤] الصلاة على إجابة[ح٤] أمه[خ٤] — فلقي ما لقى من البلاء ؟ وهكذا[د٤] تكون[ذ٤] فتنة الطاعة. وهل تكون[ر٤] الفتنة الا من[ز٤] وجود النفس لذة الشيء[س٤] ؟ فكيف يطمح قلبك[ش٤] أن يصل الى الله تعالى ، مع شهوة النفس[ص٤] ؟ فان شهوة النفس هي الدنيا[ض٤] ! إن هذا لحمق ! والجهل قد يبلغ بصاحبه[ط٤] منازل الحمقى .

ويقال لمثل[ظ٤] هذا[ع٤] المفتون ، بمثل[غ٤] هذا القول : متى تتخلص[ف٤] من[ق٤] لحظات[ك٤] نفسك الى جهدك ، واعمال برك ، حتى لا تكون[ل٤] معتمداً عليه ؟ والمعتمد على عمله متى يفلح ؟ وهذا[م٤] الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : « انه[ن٤] ليس احد منكم ينجيه عمله . قالوا[ه٤] : ولا انت ، يا رسول الله ؟ قال[و٤] : ولا أنا ، الا ان يتغمَّدني الله برحمته[٢٢] » .

---

٢١) انظر ما يتعلق بهذه الشخصية اليهودية ، بحسب التراث الاسلامي : ابن حنبل ، مسند ، مجلد ٢ : ٣٠٧ – ٣٠٨ ؛ الموطأ : جنائز فصل ٤٣ ، وفصل ٦٥ ؛ صحيح مسلم فصل ٦ و٧ ؛ وابن ماجه ص ٣٠٨ ، ٣٨٤ ، ٤٣٣ .

٢٢) هذا الحديث رواه البخاري انظر صحيح البخاري ، الرقاق فصل ١٨ ، المرضى فصل ١٩ ،

ت٤ أوما F . — ث٤ جربر F ، حرج V .

ج٤ فاناب V . — ح٤ اجابتها V .

خ٤ – V . — د٤ فكذا V .

ذ٤ يكون F . — ر٤ يكون F .

ز٤ – F . — س٤ شيء V .

ش٤ – V . — ص٤ نفس F .

ض٤ دنياه V ، + فيطمع ان يصير الى الله تعالى مع الدنيا V

ط٤ + المفتون V . — ظ٤ له V .

ع٤ – V . — غ٤ قبل V .

ف٤ ينخلص F . — ق٤ – F .

ك٤ لخطاب F . — ل٤ لا يكون F

م٤ – F . — ن٤ – V .

ه٤ – و٤ – V .

قال له قائل : فماذا يصنع إن[و٤] لم يعمل نفسه[و٤] في الطاعات ؟

قال : يؤدي[ي٤] الفرائض ، ويحفظ[ا°] الحدود . فليس في هذا[ب°] الشغل ، ان قام به ، ما يعجزه[ت°] عن سائر الاشيا. . واي عبودة[ث°] أشرف من هذا ؟ وهل ألزم الله العباد إلا بهذا[ج°] ؟

قال له قائل : فهل يضره[ح°] ان هو اشتغل بهذه الطاعات ؟

قال : وأي[خ°] ضرر بأكثر من سائر الى الله تعالى ، وقف[د°] على بعض عبده ، او على شي.[ذ°] من خلقه ، يلتذ به ؟ أليس هذا مما يقف[ر°] به[ز°] عن السير[س°] ؟ أرأيت لو أن امير المؤمنين دعا بعض قواده ليقربه ويخلع عليه ويحبوه(٢٢) ؟ فسار إليه هذا القائد ؛ فلما بلغ بعض الطريق ، عمد الى موضع نزه ، حلى[ش°] اصدره لنزاهته[ص°] ، فاخذ يبني له هناك قصراً . هل يقع ذلك من امير المؤمنين ؟ واحتج (القائد) بأن قال : أبني هذا القصر ، لاتقرب به اليه[ض°] . أليس هذا ، عند اهل العقل ، من الحمق ؟ وما خطر هذا القصر ، عند امير المؤمنين ؟ وأين هذا من ملكه ؟ انما دعاك ليقربك ويظهر مكنون ما عنده لك . فما اشتغالك بهذا ؟ قال (القائد) : لازداد به[ط°] عنده . قربة !

والدارمي ، مسند ، رقاق فصل ٣٦ : وابن حنبل ، مسند مجلد ٢ : ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، مجلد ٣ : ٥٢ ، ٢٣٧ ، ٣٦٢ ، مجلد ٦ : ١٢٥

٢٢) هذا المثل يستشهد به مرارًا الحكيم الترمذي ، انظر مثلًا مخطوط Leipzig, n° 212 folio 42ª, + 60ª

و٤ — و٤ — V ، اذا نعمل نفسه F . ي٤ تؤدى F .
ا° وتحفظ F ب° + من V .
ت° ان يعجزه F . ث° عبادة F .
ج° هذا VF . ح° يضر V .
خ° فأي F . د° واقف F .
ذ° بني. F . ر° يوقف F .
ز° — F . س° البشر V .
ش° خلا V . ص° نناهه F .
ض° اليك F . ط° — V .

فسمع امير المؤمنين بذلك ، فازدرى[ظ°] عقله[ظ°] ، وقال[ع°] : أحسب[غ°] هذا انما دعوته لاقربه بما سلف منه اليّ ؟ فوجد عليه من ذلك ، وقال[ف°] : اكتساب الجاه عندي أن[ق°] تسير[ك°] اليّ عندما بلغتك[ل°] دعوتي[م°] ؛ فتنال محل القربة؛ لا باشتغالك بينا. القصر لي .

فاذا كانت هذه المعاملة ، فيما بين[ن°] العبيد ، في الدنيا هكذا — فكيف بمعاملتك مع رب العزة على هذا السبيل.

(الفصل الثاني)

(دعوة الحق واجابة العبد)

إن الله تعالى دعا[ا] العباد ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ، إِذَا دَعَاكُمْ ، لِمَا يُحْيِيكُمْ [٢٣] ﴾ فأجابته طائفة بأن آمنوا به ، وخلطوا في عمل[ب] الاركان . فقيل لهم[ت] : لكم ، بما[ث] أجبتم[ج] ، حياة القلوب توحيدًا . ثم تقدمت طائفة اخرى ، امام هذه الطائفة[ح] ؛ فأخلصوا العمل لله[خ] ، وتطهروا من التخليط فقيل لهم : لكم ، بما أجبتم[د] ، حياة الأركان[ذ] طاعة

٢٣) سورة ٨ : ٢٤

ظ° — ظ° فان رايه V .
ع° فقال V .
غ° حسب VF .
ف° فقال V .
ق° باب V .
ك° يسير V .
ل° بلغك V .
م° + تسير الا نعرج يمينًا وشمالًا نعظيمًا لدعوته فبهذا كنت تصير الى الجاه عندي V .
ن° — V .

ا ادعى F ، دعى V .
ب اعمال F .
ت — V .
ث ما V .
ج اوجبتم F .
ح الطبقة V .
خ — V .
د اوجبتم FV.
ذ الركان V .

وتسليماً . ثم تقدمت طائفة امامها ؛ فأخلصوا القلوب ، وتطهروا من شهوات النفوس وأعمال الهوى . فقيل لهم[ر] : الكم ، بما أجبتم[ز] ، حياة النفوس الشهوانية انقيادًا لما يأتي به القلب ، ويرد[س] عليه [١٠٠ا] من اليقين . ثم تقدمت طائفة أخرى أمامها ، تتقرب[ش] اليه . فقيل لهم[ش] . لكم ، بما أجبتم[ص] ، حياة القلوب والنفوس[ض] جميعاً[ط][(٢٤)] !

فهذه اربع[ظ] طبقات . كل طبقة انما تعطى من هذه الحياة ، التي وعد الله بها[ع] ، على قدر استجابتها لدعوته . فان[غ] موت القلوب من شهوة[ف] النفس . فكلما رفض[ق] شهوة نال من الحياة بقسطه . فيقال لهذا السائر الى الله ، عز وجل : انك لن تنال الوصول اليه ، ومعك مشيئة لنفسك[ك] . الوصول اليه من أعظم المشيئات ! فانت باق[ل] حتى ترفض هذا كله . وانما تباينت احوال الاوليا ، وبعد[م] البون[ن] هنا من اجل مشيئة الوصول اليه[ه] ، والنظر الى جهدهم[و] . وسأبين ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى !

---

٢٤ بعض المفسرين يفسر الحياة المذكورة في الآية الكريمة : « اذا دعاكم لما يحييكم » بالاسلام ، او الحقيقة ، او القرآن ، او الجهاد . راجع تفسير ابن كثير مجلد ٢ : ٢٩٧-٢٩٨
وقد ذكر الترمذي هذه الآية الكريمة في كتاب الشفاء والعلل ورقة ٨٧ب (نسخة ولي الدين ٧٧٠) وشرحها على النحو المذكور هنا في ختم الاولياء .

ر - V .
ز اوجبتم V .
س ويورده F ، ويورد V .
ش - ش - V .
ص اوجبتم V .
ض واليقين F .
ط + يقرب الله ثم تقدمت طايفة اخرى امامها فقيل لكم بما اوجبتم حياة القلوب والنفوس جميعاً بالله V .
ظ خمس V .
ع - V .
غ فانما V .
ف شهوات F .
ق زال V ، + من V .
ك + دق او جل ومشيئتك لنفسك V .
ل باقي V .
م فبعد F .
ن النور V .
ه اليهم V .
و جهده F .

فالطبقة[ي] الاولى سارت قليلًا . فلما وجدت روح القربة ظنت[ا] انها[ب] قد اصابت[ت] القوة كلها ؛ فتبجحت[ث] في شهوات النفس[ج] : من الضيافات[ح] واتخاذ الاخوان[خ] وبقبقة[د] الكلام[ذ] خالياً مما يأتي به . حتى[ر] استولت[ز] على[س] رياسة ، في قرية او ناحية من النواحي ؛ أو على طائفة من هؤلاء الزَّمنى[ش] ، بين جهال وفتيان ونسا . فاستطابت[ص] طمح تلك الابصار إليها[ض] ، وتعظيمهم لها[ط] ، وبرهم بها[ظ] . فبذه[ع] ثمرة[غ] سيرها[ف] : ظاهرها[ق] تخليط ، وباطنها[ك] مزبلة . فهؤلاء[ل] قتلى[م] هذا الطريق .

الطبقة الثانية سارت قليلًا . ثم عرجت على الطاعات تلتذ بها حتى أدتها الى العبادة الظاهرة . فبقيت وفي نفسها مكامن الفتن كالسيل والليل ؛ مثل التعظيم لامرها ، والإعجاب بنفسها ، والكبر والتيه والنخوة . والتصنع والمداهنة والطمأنينة الى قبول الناس لها ، ورضاهم بذهبها . فأذنها مصغية الى ثنا . الناس عليها ، والفرح بمدحهم لها . وخوف سقوط منزلتها عندهم لازم لقلبها . فتراى لهذا ، وتعتذر وتتملق لهذا . عامة أمرها على الحتل والمخادعة ، تيقيًا على احوالها ،

[ي] الطبقة F .

[ا] ظن F . [ب] انه F .

[ت] اصاب F . [ث] فتجح F .

[ج] النفوس V . [ح] الضيافان V .

[خ] الاحزان V . [د] بقبقت V .

[ذ] + وبقيت لذة الكلام F [ر] − V .

[ز] + ستولى VF . [س] في VF .

[ش] + من V . [ص] فاستطاب VF .

[ض] اليه VF . [ط] له VF .

[ظ] به VF . [ع] فهذا V .

[غ] عزيزه V . [ف] سيره F ، يسيره V .

[ق] فظاهره F ، في ظاهره V . [ك] وباطنه VF .

[ل] فهذا VF : [م] قتيل VF .

التي هي نزهة نفسها . فان ذكرت الآخرة وشدائدها ، ذكرت أعمالها التي تعمل اركانها جهدًا ، فطابت نفسها . وهل[ن] تطيب نفسها[ه] الا من ركونها[و] اليها ؟ متى[ي] عرفت[ا٢] هذه[ب٢] ربها «[ت٢] ، حتى[ث٢]» تطمئن[ج٢] الى أعمال خرجت من أركان دنسة وقلب كدر وايمان سقيم ؟

والكيّس[ح٢] فتح له الطريق . فسار[خ٢] الى الله تعالى ؛ لا يعرج يمينًا ولا شمالًا . فعفّ عن شهوات المعاصي ، ثم عفّ عن شهوات الحلال ، كما عفّ عن شهوات الحرام . ثم عفّ عن شهوات الطاعات ، وتخيّر[د٢] الاحوال كما عفّ عن الحرام . ثم عفّ عن كل مشيئة خطرت «[ذ٢] بباله[ذ٢]» ، كما عفّ عن هذه الاشياء . يقول في نفسه : ان حجابي ، بيني وبين ربي ، نفسي ، فما دامت معي مشيئة فنفسي قائمة بين يدي ، تحجبني عن ربي.

فهذا عبد مسدَّد موفق ! فما زالت به امواج المجاهدة ، ترفعه وتحفظه . فكلما وجد من عمل لذة فارقه وتحول الى غيره ، حتى مل واجهد[ر٢] . فرفض العمل كله ، وقعد حارسًا لقلبه من لصوصية هذه النفس .

فقال له قائل : وكيف يحرسه ؟ وما لصوصية النفس ؟

قال : ان الصدر ساحة النفس[ز٢] والقلب[س٢] . فللقلب[ش٢] في هذه الساحة باب ، وللنفس باب[٢٥] . فاذا دخل[ص٢] العطاء من الله في الصدر فانما[ض٢] هو[ط٢]

٢٥ للترمذي نظرية كاملة خاصة بالقلب والنفس والصدر ، من الوجهة البسيكولوجية والروحية . وقد خصص لهذه المسائل الهامة عدة ابحاث من كتبه ومقالاته (انظر مثلًا كتاب

ن فهل VF :
ه نفسه VF .
و ركونه VF .
ي فتى V .
ا٢ عرف VF .
ب٢ هذا VF .
ت٢ ربه VF .
ث٢ حيث V .
ج٢ يطمئن VF .
ح٢ فالكيس V .
خ٢ وسار V .
د٢ وتخير V .
ذ٢ – ذ٢ – F .

للقلب . وثارت[ظ٢] النفس لتأخذ[ع٢] نصيباً من حلاوة[غ٢] العطا.[ف٢] . فان اخذت بغلبتها نصيبها لم يقدر الحارس[ق٢] على منعها . فاذا ارادت ان تعمل[ك٢] اعمال البر ، بما اصابت من[ل٢] العطا. ، منعها من العمل[م٢] . فهذا موضع الزلل[ن٢] .

فالجاهل بهذا الطريق لما اصابت النفس حلاوة العطا. ، استقرت[ه٢] بصاحبها[ه٢] ، فدعته[و٢] الى عمل الاركان ، وهي خائنة لما فيها من الشهوات . فان تركها صاحبها[و٢] وما استقرت[ي٢] به أفسدت نصيبها من العطا. له[ا٣] بشهواتها . فهذا الحارس لهذا الطريق[ب٣] ، بغاية الشغل فكيف يصل الى عمل الاركان ? أليس عمل الاركان ، على ما وصفناه[ت٣] ، بطالة?فلا تمأن[ث٣] بهؤلا.[ج٣]

ادب النفس : وك. الرياضة ؛ وك. الفرق بين الصدر والقلب . . .) . الصدر ، في نظر شيخنا ، هو المظهر الخارجي للقلب ، وهو ميدان عام يلتقي عنده القلب والنفس . وهو مضاء بنور الاسلام . اما القلب فهو مستنير بنور الايمان ، وهو عرش الله ، الذي لم تسعه السموات والارض ! وللقلب نظران : نظر للحق ونظر للخلق . اما النفس ، فهو دائماً يستعملها بالمعنى الحيواني او الشهواني (النفس الشهوانية او الحيوانية) ومن ثم يجب كبح جماحها ، لانها مصدر الشرور والآفات . يقارن هذا مع شرح الفقه الاكبر المنسوب الى + ابي منصور الماتريدي ، ص ٧ طبعة حيدرباد سنة ١٣٢١ هـ.

ر٢ واجتهد V . — ز٢ – V .
س٢ القلب V . — ش٢ وللقلب V .
ص٢ حل V . — ض٢ + قعد حارساً V .
ط٢ – V . — ظ٢ – V .
ع٢ ليأخذ V . — غ٢ بحلاوة F ، – V .
ف٢ – V . — ق٢ الحادثين V .
ك٢ + الاركان يعمل من F . — ل٢ + الحظ F .
م٢ القصد V . — ن٢ الزلة V ، الدلالة F ، + اذا عمل وتابع هواها F .
ه٢ – ه٢ استنزت بصاحبها F .
و٢ – و٢ – F . — ي٢ استنزت F .
ا٣ – F . — ب٣ – V .
ت٣ وصفت V . — ث٣ نمان V .
ج٣ لهؤلا. V .

البطالين ، ولا يغرنك تماوتهم وسمتهم[ح٣] ، فان عامتهم هراب ، وعبيد[خ٣] آباق[د٣] !

فما زال ذلك[ذ٣] دأب هذا الصادق ، في سيره الى الله تعالى[ر٣] . يمنع نفسه لذة الحلال[ز٣] ، ولذة الطاعات ، ولذة العطا. . ومع ذلك ، يجاهد نفسه في تصفية الاخلاق الدنيئة : مثل الشح والرغبة والمذمة[س٣] والجفوة والحقد ، واشباه[ش٣] ذلك . فان الشح والرغبة والحقد والجفوة[ش٣] من قذر[ص٣] النفس . وهو دائب في هذا السير . فأي عبادة تفوق هذا ؟ حتى اذا استفرغ مجهوده من الصدق ، ولم[ض٣] يبقَ للحق[ط٣] قِبَلَه[ظ٣] اقتضا. ، التفت الى نفسه فوجدها كما كانت بديا ، فيها تلك الهنات[ع٣] موجودة .

قال له قائل : وما تلك الهنات[غ٣] ؟

قال : الفرح بالاحوال عند الخلق ، والطلب[ف٣] للمنازل العلية عند الله . ومع هذا الفرح بالاحوال[ف٣] ، يطلب[ق٣] عندهم[ك٣] المنازل[ل٣] في مكامن نفسه[م٣] ، ركونا[ن٣] الى الحياة وتنسما[ه٣] لروحها ، ولقاء الاخوان[و٣] ، والبطر[ي٣] في المواضع التي هي[ا٤] مطمأن[ب٤] النفس من بقاع الارض . بمنزلة سمكة يريد صاحبها أن

ح٣ وتخشيتهم V ، وتسمتهم F .
خ٣ عبد F .
د٣ + متأكلة VF .
ذ٣ – F .
ر٣ – V .
ز٣ الحرام V .
س٣ – F .
ش٣ – ش٣ – F
ص٣ قذر VF .
ض٣ فلم VF .
ط٣ فلم VF .
ظ٣ بفعله F .
ع٣ الهبات V .
غ٣ الهبات V .
ف٣ – ف٣ – F .
ق٣ ويطلب F .
ك٣ تلك F .
ل٣ المنزلة V .
م٣ + سرا من صاحبه VF .
ن٣ وركونا VF .
ه٣ وتنسما VF .
و٣ + في F .
ي٣ النظر F .
ا٤ – F .
ب٤ مطمان F ، + مكامن F .

يتها ، فيلقيها[ت٤] على التراب[ث٤] ؛ فهي[ج٤] تضطرب فيه ، قد أزف[ح٤] منها الموت . ثم يشفق[خ٤] عليها صاحبها ، فيغطها[د٤] في الماء غطاً[ذ٤] ، ثم يرمي[ر٤] بها الى اليبس . ثم لما ازف منها الموت ، رش عليها الماء فأحياها : فهذا لعب من صاحبها بها !

فلما استفرغ هذا الصادق مجهوده من الصدق في سيره ، + على ما وصفت ، ووجد[ز٤] نفسه[س٤] حية معها هذه الصفات – تحيّر وانقطع صدقه. وقال: كيف لي ان اخرج من نفسي حلاوة هذه الاشيا. ؟ فعلم انه لا يقدر على ذلك ، [١٥٥ ب] كما لا يقدر ان يبيض الشعرة السودا. .

وقال : ان هذه نفسي قد اوثقتها بالصدق مني الى الله ؛ فكيف[ش٤] لي[ص٤] ان حللت[ض٤] وثاقها فأبقت[ط٤] وهربت[ظ٤] ، متى الحقها ؟ فوقع في مفازة[ع٤] الحيرة . فاستوحش ، وبقي وحيدًا في[غ٤] تلك المفازة[ف٤] . لانه قد[ق٤] ذهب أنس النفس ولم ينل انس الخالق . فحينئذ صار مضطرًا ، لا يدري أيقبل[ك٤] ام يدبر ؟ فصرخ الى الله ، يائسًا[ل٤] من صدقه ، صفر اليدين ، خالي القلب من كل جهد . وقال في نجواه: قد[م٤] تعلم[م٤] ، يا عالم[ن٤] الغيوب[ه٤] والخفيات[و٤] ،

ت٤ فالقاها V ، والقاها F .

ث٤ تراب V .

ج٤ وهي F .

ح٤ فذارف F .

خ٤ نشفق F ، شفق V .

د٤ فغمسها F ، فيغطها V .

ذ٤ غمساً V .

ر٤ رمى V ، – F .

ز٤ ووجدها F .

س٤ – F .

ش٤ وكيف F .

ص٤ بها F .

ض٤ آخذ V .

ط٤ – V ، + على F .

ظ٤ وهرب V ، + مني V .

ع٤ مفاوز V .

غ٤ + حلا V .

ف٤ المفاوز V .

ق٤ – V .

ك٤ يقبل F .

ل٤ آيساً V

م٤ – م٤ – V .

ن٤ علام V .

ه٤ – F .

و٤ الخفيات F .

أنه لم يبقَ لعلمي بالصدق موضع قدم أتخطّى[ئ] به ؛ ولا لي[ا°] مقدرة على محو هذه الشهوات الدنسة من نفسي وقلبي — فاغثني[ب°] !

فأدركته الرحمة ، فرحم. فطير[ت°] بقلبه، من مكانه الذي انقطع فيه[ث°] ، في لحظة؛ فوقف به في محل القربة عند ذي العرش . فوجد روح القربة ونسيمها وتبجبح[ج°] في فضائها، وفي ساحات[ح°] توحيده . وذلك قوله ، عز وجل : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ + وَيَكْشِفُ ٱلسُّوءَ[خ°] وَيَجْعَلُكُمْ[د°] خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ[د°][٢٦]؟﴾ .

ينبئك[ذ°] في هذه الآية[ذ°] ، أن وله قلبك الى صدق نفسك وجهدك يكشف السوء عنك ، ولا[ر°] يجيبك[ر°] الى ما[ز°] دعوته[٢٧] حتى تخلص دعوتك وولهِ قلبك الى الله تعالى[س°] ، الذي أوله القلوب ، وحتى[ش°] تكون[ش°] مضطراً[ص°] إليه[٢٨] .

---

٢٦) سورة ٢٧ : ٦٢

٢٧) يقارن هذا مع نص ادب النفس ص ١٤٩

٢٨) ان الله أوله القلوب بمحبته فاضطرت اليه (اي انجذبت بفطرتها الصافية السامية اليه) ان الاشتقاق اللغوي للالوهية صادر عن الوله : (= أله ، وَلَه) . فوله القلوب بالله هو صورة او رمز لوله الذات الالهية نفسها وحبها الدفين للخلق والظهور والتجلي (كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف . . .) بخصوص الصلة بين الوله والالوهية ، من الوجهة اللغوية راجع لسان العرب مجلد ١٧ : ٦-٢٠ (مادة اله) . وبخصوص الصلة بين وله القلوب ومحبة الالوهية للظهور والتجلي . راجع :

H. Corbin, *Sympathie et théopathie*, in Eranos jahrbuch XXIV.

ئ اتخطا VF .   ا° — V .
ب° فاغنى F .   ت° فظهر V .
ث° + صدقه V .   ج° وبجح F .
ح° مناجاة V .   خ° + الآية V .
د° — د° — V .   ذ° — ذ° — V .
ر° — ر° — V .   ز° — F .
س° — V .   ش° — ش° — V ، حتى تكون F
ص° مضطرا F .

فالمضطر (هو) الذي انقطع زاده وحمولته ، وبقي متحيراً في المفازة[ض°] لا يهتدي الى[ط°] الطريق . فهو[ظ°] مرحوم مغاث[ع°] . ألا ترى ان[غ°] الله تعالى[ف°] احل[ق°] للمضطر ، في مفازة[ك°] الارض ، الميتة[ل°] رحمة له[٢٩] وغياثا[م°] ؟ فالمضطر في مفاوز[ن°] السير[ه°] اليه احق بالرحمة والغياث !

وقال ، عز[و°] اسمه[و°] ! في تنزيله : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ[٣٠] ﴾ فحقيقة[ي°] الجهاد ألا يبقى للصدق موضع قدم يتخطى اليه[٣١] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا[١٦] لَنَهْدِيَنَّهُمْ «ب٦ سُبُلَنَا ب٦» [٣٢] ﴾ والسبل[ت٦] هي[ث٦] الطرق[ج٦] . يعلمهم[ح٦] ان للاوليا. طرقاً[٣٣] ، فيها تفاوت

راجع ايضاً ك . علم الاولياء للترمذي ص ٦١ (مخطوط بورصة رقم ٨٠٦)؛ و ك : 206 انواع العلوم للترمذي ، ورقة ٣١أ (مخطوط ولي الدين رقم ٧٧٠ (+) .

٢٩) انظر سورة ٢ : ١٧٣ ، ٥ : ٣ ، ٦ : ١٤٥ ، ١١٩ ، ١٦ : ١١٥

٣٠) سورة ٢٢ : ٧٨

٣١) قارن معنى الجهاد الذي يذكره هنا المصنف مع معناه اللغوي (لسان العرب : مادة جهد) وما يذكره المفسرون بهذا الصدد (ابن كثير : مجلد ٣ : ٢٣٦ ، ٢٣٧

٣٢) سورة ٢٩ : ٦٩ ؛ وانظر التعليق السابق رقم ١٧

٣٣) اذن السبل الى الله متعددة ؛ ويقول المثل الصوفي : الطرق الى الله تعالى على عدد نفوس بني آدم . . . ولكن الطريق المستقيم واحد وهو الطريق الذي يوصل الى الله بعدة

ض° مفاوز V .
ط° – V .
ظ° وهو F .
ع° مماث F .
غ° – V .
ف° + قد V .
ق° اباح V .
ك° مفاوز V .
ل° + ما اباح V
م° وعيانا F ، وغياثها V .
ن° مفازه F .
ه° المسير F .
و° – و° – F .
ي° حقيقة V .
ا٦ + الآية ٦ .
ب٦ – ب٦ – V .
ت٦ وان السبل V .
ج٦ الطريق F .
ح٦ ليعلم V .

على اقدار نفوسهم ووقاتها[خ٦] واحتمالها لما يرد من العطا.[خ٦] . وانما هداهم لسبله بصدق المجاهدة . والهدى ان يميل بقلبه ، مشتق من تهادى ، يقال في اللغة : مشى فلان بتهادى ، اي يتمايل . ومنه مأخوذة الهدية ، لانها تميل بالقلب الى صاحبها[٣٤] .

وانما رحم العبد حين خلصت دعوته ، وانما خلصت دعوته حين صار مضطراً ولم يبق له معتمد (يعتمد عليه) ولا ملتفت يلتفت اليه . فأما دعوة رجل احدى عينيه الى ربه والاخرى الى عمله ، فما هو بمضطر ولا خلصت دعوته . فلما اجيبت لهذا المضطر دعوته ، طير من محل الصادقين ، في طرفة عين ، الى محل الاحرار الكرام . ورتبت[د٦] له هناك مرتبة ، على شريطة لزومه المرتبة ليعتق من رق النفس ، ويكشف عنه السوء ، الذي وصفه الله تعالى في هذه الآية .

اقل (الخط المستقيم هو اقرب مسافة بين نقطتين) وعلى نحو اتم . والطريق المستقيم هو الذي اوحى الله به على لسان رسوله وهو الذي حققه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، في حياته قولا وفعلا وحكماً . قارن هذا بما يذكره ابن عربي ، في مقدمة النصوص ويسميه : بالطريق الامم وما يذكره ابن تيمية في كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » ، في المقدمة وفي ص ١١-١٢

٣٤) الهدى في حكمة القرآن ، له معنى دقيق وواضح : بعد معصية آدم ، عليه السلام ، يقول الوحي الالهي : « اهبطوا منها جميعاً فاما يأتيكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (سورة ٢ : ٣٨) .

وبعد ان يذكر القرآن الكريم الوحي الالهي السابق ، المنزل على انبيائه ورسله يخاطب رسول الاسلام : « ذلك هدى الله يهدي به من يشاء . . . اولئك الذين هدى الله فبهداهم (لاهم) اقتده » .

(سورة ٦ : ٨٨ - ٩٠)

فعلى ضوء ما تقدم يكون الهدى ، في وضع القرآن ، هو الوحي السماوي الذي انزله الله على انبيائه ، منذ اول نبي الى آخر نبي . والغاية الاساسية من هذا الوحي السماوي ، هذا الهدى الرباني ، هو تحرير الانسان من الخوف والحزن ، اي تحرر الانسان التام من عوامل الضعف والنقص والانحطاط .

خ٦ - خ٦ F -   د٦ ورتب ٧ .

قال قائل : وما ذلك السو. ؟

قال : الذي وصفت[ذ٦] بديًا : مما كان يجده في نفسه ، من تلك الهنات الدنسة ، التي لم يقدر ان يمحوها عن نفسه ، وانما يمحوها[ر٦] عنه[ز٦] الله ، عز[س٦] وجل[س٦] ! فقيل له[ش٦] : الزم هذه المرتبة ، بقرب[ص٦] الله تعالى[ض٦] ! وانت عتيق من رق النفس حتى تزايلك هذه الهنات[ظ٦] ، التي في نفسك ، + بما يرد عليك من انوار القربة فتحرقها فتصير من صفوته ، وتصلح[ع٦] له . ووكل به الحق يحرسه[غ٦] . فان ثبت في مركزه فقد وفى بشرط الله[ف٦] ، وان اخل بمركزه وهرب فهو[ق٦] مخذول[ق٦] ؛ خدعته[ك٦] نفسه الامارة بالسوء. فانظر أية[ل٦] نفس[م٦] هذه ، حيث تقدر[ن٦] على خدعه وهو في محل الكرام[ه٦] الاحرار ؟

قال له[و٦] قائل[ي٦] : وأين[ا٧] محل[ب٧] الصادقين[ب٧] ؟ واين محل الكرام الاحرار ؟

قال : محل الصادقين في السماء[ت٧] الدنيا ، عند بيت العزة ، فهناك محلهم لانهم عبيد النفوس.

قال قائل[ث٧] : وما بيت العزة ؟

ذ٦ وصفنا V .
ر٦ يمحوها V .
ز٦ منه V .
س٦ – س٦ – F .
ش٦ – V .
ص٦ نقرب F .
ض٦ عز ٦ وجل F .
ط٦ تزايل F .
ظ٦ الصفات F .
ع٦ فتصلح V .
غ٦ ليحرسه V .
ف٦ + عز اسمه V .
ق٦ – ق٦ مخذول VF .
ك٦ عن خدعة V .
ل٦ اي V .
م٦ ÷ هي F .
ن٦ يقدر F .
ه٦ الاكرام V .
و٦ – V .
ي٦ القايل V .
ا٧ اين F .
ب٧ – ب٧ – V .
ت٧ سماء F .
ث٧ – VF .

قال : حيث نزل[ج٧] القرآن جملة واحدة ، في ليلة مباركة[٣٥] . فوضع في بيت العزة[٣٦] ، في سماء الدنيا ؛ ثم نزل[ح٧] نجوماً في عشرين سنة ، كذلك روى عن[خ٧] ابن عباس[٣٧] رحمه[د٧] الله[د٧] !

واما محل الاحرار الكرام ، فالبيت[٣٨] المعمور ، في حدود[ذ٧] عليين[٣٩] . فوق السماء السابعة . يلجونها ثم يتفرقون منها ، على مراتبهم ، في عليين الى العرش ، عساكر بعضها فوق بعض ، حتى ينتهوا[ر٧] الى محل الاربعين ، حول العرش .

---

٣٥) الليلة المباركة التي انزل فيها القرآن هي ، بحسب بعض النصوص الدينية ، ليلة القدر ، انظر تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٢٢٩-٢٣٥

٣٦) هناك احاديث مروية عن الرسول عليه السلام تنص على وجود بيت العزة في سماء الدنيا . وعلى وجود البيت المعمور ، في حدود عليين ، راجع تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٢٣٩

٣٧) انظر ابن كثير مجلد ٤ : ٥٢٩ ؛ ويذكر ابن كثير ان ثمت روايات عن ابن عباس رضي الله عنهما تدل على ان نزول القرآن منجماً كان في مدة ٢٣ سنة (انظر المرجع المتقدم)

٣٨) البيت المعمور (كما تقدم في تعليق ٣٦) هو في حدود عليين ، في السماء السابعة ، يلجه للملائكة بلا انقطاع . ومثاله في الارض الكعبة ، في المسجد الحرام بمكة ، حيث يلجها العباد بلا انقطاع ايضاً . راجع الاحاديث النبوية الخاصة بذلك في تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٢٣٩ . والقرآن الكريم نفسه يذكر البيت المعمور في آياته ، انظر سورة ٥٢ : ٤

٣٩) يذكر القرآن الكريم في سورة ٨٣ : ١٨-١٩ ان كتاب الابرار في عليين ؛ ومفسرو القرآن يأولون ذلك بانه منزل من منازل الجنة عند سدرة المنتهى (راجع تفسير ابن كثير مجلد ٤ : ٤٨٦) . وبعض الباحثين الغربيين يرى ان كلمة عليين القرآنية يقابلها في العبرانية 'Elyon ، وهي اسم مركب من 'El , Yon ومعناها الاله العظيم ، او الكبير . وكان يوجد في معبد (Panthéon) الفينيقيين صنم يسمى بهذا الاسم . ثم اطلق في العهد القديم على الاله الحقيقي (راجع سفر التكوين فصل ١٤ : ١٨-٢٢) . وانظر ايضاً ترجمة القرآن : Blachère ص ٦٤٢ تعليق رقم ١٨ ، وترجمة العهد القديم ل *L'Ecole Biblique de Jérusalem*, p. 21 note d.

ج٧ انزل V .	ح٧ انزل V .

خ٧ – F .	د٧ – د٧ رضى الله عنهما V .

ذ٧ خلود F .	ر٧ ينتهي F .

(الفصل الثالث)

(ولي حق الله وولي الله)

فهؤلاء كلهم أولياء حقوق الله ، وهم اولياء الله يصيرون[ا] الى الله تعالى[ب] في مراتبهم . فيحلون بها ويتنسمون[ت] روح القرب ، ويعيشون في فسحة التوحيد والخروج عن[ث] رق النفس . قد[ج] لزموا المراتب ، فلا يشتغلون بشيء الا بما أذن لهم فيه[ح] من الاعمال . فاذا صرفهم الله من المرتبة الى عمل أبدانهم[خ] حرسهم[د] . فيمضون مع الحرس[ذ] في تلك الاعمال ، ثم ينقلبون[ر] الى مراتبهم . هذا دأبهم .

فمن لم يف[ز] منهم[س] بما شرط عليه من لزوم المرتبة[ش] ، ومضى في عمل من أعمال البر ، يحسب أنه قد قوى واستغنى ، بما ناله من نور القربة فينبغي ألا يكون معطلا — فقد[ص] وقع في الخذلان . لانه ترك الشرط ، ومضى بهوى نفسه .

وانما شرط عليه[ض] لزوم المرتبة ، لان هوى نفسه معه ، والادناس التي وصفت في نفسه . فكيف يجوز له[ط] ان يمضي من المرتبة الى عمل بلا اذن ؟ فانه اذا مضى بلا اذن ، لم يكن معه حارس[ظ] ، بل معه هواه وشهواته . فاذا عمل لله تعالى[ع] ، وهواه معه[غ] ، أيتركه[ف] ويخلي سبيله[ق] لان[ك] يرجع الى مكان

ا يسيرون F .	ب — V .
ت فيتنسمون V .	ث من V .
ج فقد VF .	ح — V .
خ ابديهم V .	د يحرس V .
ذ الحراس V .	ر يتقلون F .
ز يوف F .	س — V .
ش — V .	ص قد F .
ض — F .	ط — F .
ظ حريض V	ع — V .
غ — V .	ف لا يتركه V .
ق — ق — V	ك أن VF .

القربة ، فيقفُ ل مع الصفوة م في ن المرتبة ن ؟ ان هذا الحق عجيب ، لمن طمع في هذا ! وقد لطخ الحق وعمل بهوى نفسه .

فهذا ه رجل مخدوع مستدرج . يعمل و نفسه في انواع البر ، ويزعم انه ي انا خلق ي للعبودية ا ، وهذه عبودية ب . [١٥٦ ب] فيقال له : إن عبودية ت الاوليا . أصفى من ان تخالطها ث هنات النفس . وكيف يكون ما تعمل عبودية ج ، وأنت في أوحال ح النفس وشهواتها وخدعها واما نيها والتفاتها الى خيالها ؟ فان خ احتج بقول الله ، عز وجل :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ، مِنْ بَعْدِهِمْ د . لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (٤٠) ﴾ وقال : أفلا ذ ترى أنه أشار الى العمل ؟ فقل ر له : احذر هذا « الكيف » ، الذي قاله ؛ فان « كيف » هو صفة العمل . أي ز : لننظر بأي ز صفة تعملون س ؟ ولم يقل : لننظر ماذا تعملون .

فان أردت ان تقوم له بالعبودية ش ، فاجتهد في خروجك من رق النفس الى رقه ، حتى تكون له عبداً . فالعبودية ص لعبيده ، والعبادة لعبيد النفوس ض .

---

٤٠) سورة ١٠ : ١٤

ل + في المرتبة V .

ن – ن – V .

و يعمل V .

ا للعبودة V .

ت عبودة V .

ج عبودة V .

خ – V .

ذ اولا V .

ر – ز الذي ننظر الى F .

ش العبودة V .

ض النفس V .

م الشهوة V .

ه هذا V .

ي–ي اني خلقت F ، اني انما كلفت V .

ب عبودة V .

ث يخالطها F .

ح احوال F .

د – د – V .

ر فيقال V .

س تعمل V .

ص فالعبودة V .

ومن لم يصل الى الله ، عز[ط] وجل[ظ] ، في مجالس القربة ، حتى تحرق تلك الانوار جميع ما في نفسه من الادناس – فهو[ع] بعد في الطريق ، لا يدري أين هو . وانما جرأته[غ] على الامور ، من[ف] بعض انوار العطاء .

فكيف[ق] يخاطر المرء بنفسه ، وينخدع لها ، ويخالط[ك] ويباشر الامور[ل] ، التي تتدنس[م] نفسه[ن] فيها ، وتأخذ[ه] بنصيبها[و] ؟ ثم يزعم انه ذو حظ من الله ! هيهات !

فهذا رجل لم يصبر على السير[ي] ، فمله . ولم يرتفع له ما أمل من الوصول الى + الله تعالى . فأقبل على النساك يتصنع باعمالهم ، وينطق بكلام الاولياء الى ما لا يعلمه . فكفى بهذا ترديا في آبار المهالك !

[ط] – ط – V .
[ظ] + فانما وصوله الى مكان القربة VF .
[ع] اذ هو F ، او ؛
[غ] حرى به V .
[ف] ÷ حيث F .
[ق] كيف VF .
[ك] فيخالط F .
[ل] للامور F .
[م] يدنس F .
[ن] – F .
[ه] ويأخذ V ، فتأخذ F ، ÷ النفس F .
[و] نصيبها F .
[ي] السر F ، ÷ قلبه F .

(الفصل الرابع)

(المسائل + الروحانية)

فيقال لهذا المسكين المتحير :

(السؤال الاول) صف لنا منازل الاولياء. اذا استفرغوا مجهود الصدق، كم عدد منازلهم[٤١] ؟

---

٤١) «هي مايتا الف وثمانية واربعون الفاً. لكل منزل خصوص + وصف ليس للآخر. وهي على ثلاث طبقات : الطبقة الوسطى مائة الف منزل وثلاثة وعشرون الف منزل وسبعة وثمانون منزلا . وما بقي فبين الطبقتين (الاولى والاخيرة) . هذا كله في عالم رداء الكبر . والذي لهم في (عالم) ازار العظمة ، مما هو زائد على هذا ، الف منزل وبضعة وعشرون منزلا ، لها خصوص وصف. وعدد الاولياء في كل زمان ، الذين لهم هذه المنازل، ثلاث مائة وستة وخمسون وهم على طبقات ستة . وما منهم شخص الا وهو ينكر على صاحبه ؛ وفيهم رجال ونساء . » (الجواب المستقيم مخطوط بيازيد ٣٧٥٠ ورقة رقم ٢٤١ ب) .

+ «الجواب : اعلم ان منازل الاولياء على نوعين : حسية ومعنوية. فمنازلهم الحسية في (الآخرة) الجنان ، وان كانت الجنة مائة درجة . ومنازلهم الحسية في الدنيا احوالهم التي تنتج لهم خرق العوائد . فمنهم من يتبرز فيها ، كالابدال واشباههم . ومنهم من تحصل له ولا يظهر عليه شيء منها ، وهم الملامية واكابر العارفين . وهي تريد على مائة منزل وبضعة عشر منزلًا . وكل منزل يتضمن منازل كثيرة . فهذه منازلهم الحسية في الدارين.

واما منازلهم المعنوية في المعارف ، فهي مائتا الف منزل وثمانية واربعون الف منزل محققة . لم ينلها احد ، من الامم ، قبل هذه الامة ؛ وهي من خصائص هذه الامة . ولها اذواق مختلفة ، لكل ذوق وصف خاص يعرفه من ذاقه . وهذا العدد منحصر في اربعة مقامات : مقام العلم اللدني ، وعلم النور ، وعلم الجمع والتفرقة ، وعلم الكتابة الالهية . ثم بين هذه المقامات ، مقامات من جنسها تنتهي الى بضع ومائة مقام ؛ كلها منازل للاولياء . ويتفرع من كل مقام منازل كثيرة ، معلومة العدد يطول الكتاب بايرادها . واذا ذكرت الامهات ، عرف ذوق صاحبها .

فأما العلم اللدني ، فمتعلقه الالهيات وما يؤدي الى تحصيلها من الرحمة الخاصة . واما علم النور ، فظهر سلطانه في الملأ الاعلى ، قبل وجود آدم ، بآلاف السنين ، من ايام الرب .

واما علم الجمع والتفرقة ، فهو البحر المحيط ، الذي اللوح المحفوظ جزء منه . ومنه يستفيد العقل الاول ؛ وجميع الملأ الاعلى منه يستمدون . وما ناله احد ، من الامم ، سوى أولياء هذه الامة . وتتنوع تجلياته ، في صدورهم ، على ستة الاف ومئين . فمن الاولياء من حصّل جميع هذه الانواع ، كأبي يزيد البسطامي ، وسهل بن عبد الله . ومنهم من حصّل بعضها .

وقد كان للاولياء ، في سائر الامم ، من هذه العلوم نفثات روح في روع : وما كمل الا لهذه الامة تشريفاً لهم وعناية بهم ، لمكانة نبيهم ، سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وفيه من خفايا العلوم ، التي هي بمنزلة الاصول ، ثلاثة علوم . علم يتعلق بالالهيات ، وعلم يتعلق بالارواح العلوية ، وعلم يتعلق بالمولدات الطبيعية .

فأما ما (الاصل: فما) يتعلق منه بالالهيات ، (فهو) على قدم واحدة لا يتغير ، وان تغيرت تعلقاته . والذي يتعلق منه بالارواح العلوية ، فيتنوع من غير استحالة . والذي يتعلق بالمولدات الطبيعية ، يتنوع ويستحيل باستحالاتها . وهو المعبر عنه « بأرذل العمر ، لكيلا يعلم ، من بعد علم ، شيئاً » . فان المواد ، التي حصل له منها هذا العلم ، استحالت فالتحق العلم بها ، بحكم التبعيّة .

وكما هي أصولها ثلاثة (الاصل: ثلاث) علوم ، فالاولياء فيها على ثلاث طبقات . الطبقة لوسطى منهم ، لهم مائة الف منزل وثلاثة وعشرون الف منزل وستمائة الف منزل وسبعة وثمانون منزلاً أمهات . يحتوي كل منزل منها على منازل لا يتسع الوقت لحصرها ، لتداخل بعضها في بعض (الاصل : بعضها) ، ولا ينفع فيها الا الذوق خاصة . وما بقي من الاعداد ، فمقسّم بين الطبقتين . وهما اللذان ظهرا برداء الكبرياء وازار العظمة . غير ان لها ، من ازار العظمة ، مما يزيد على هذا ، الذي ذكرناه ، الف منزل وبضعة وعشرون منزولاً . (و)لهذه المنازل خصوص وصف لا يوجد في منازل رداء الكبرياء . وذلك ان رداء الكبرياء ، مظهره من الاسم الظاهر ؛ والازار مظهره من الاسم الباطن . والظاهر هو الاصل ، والباطن نسبة حادثة ؛ ولحدوثها كانت لها هذه المنازل . فان الفروع محل الثمر ، فيوجد في الفرع ما لا يظهر في الاصل ، وهو الثمرة . وان كان مددها من الاصل ، وهو الاسم الظاهر ، لكن الحكم يختلف .

فمعرفتنا بالرب تحدث عن معرفتنا (في الاصل: معرفة) بالنفس ، لانها الدليل : « من عرف نفسه (فقد) عرف ربه » . وان كان وجود النفس فرعاً عن وجود الرب . فوجود الرب هو الاصل ، ووجود العبد فرع . ففي مرتبة يتقدم ، فيكون له الاسم « الاول » ؛ وفي مرتبة يتأخر ، فيكون له الاسم «الآخر» . فيحكم له بالاصل ، من نسبة خاصة ؛ ويحكم له بالفرع ، من نسبة اخرى . هذا (ما +) يعطيه النظر العقلي .

واما ما تعطيه المعرفة الذوقية ، فهو انه ظاهر + من حيث هو باطن ؛ وباطن من عين

(السؤال الثاني) وأين منازل اهل القربة[٤٣] ؟

ما هو ظاهر. و(هو) اول ، من عين ما هو آخر ؛ وكذلك القول في الآخر + . و(هو) ازار ، من نفس ما هو رداء ؛ ورداء ، من نفس ما هو ازار . ولا يتصف ، ابدًا ، بنسبتين مختلفتين ، كما يقرّره ويعقله العقل ، من حيث ما هو فكر . ولهذا قال ابو سعيد الخرّاز ، وقد قيل له : بم عرفتَ الله ؟ فقال : « بجمعه بين الضدين » . ثم تلا « هو الاول والآخر ، والظاهر والباطن » .

فلو كان ، عنده ، هذا العلم من نسبتين مختلفتين ، ما صدق قوله : « بجمعه بين الضدين » . ولو كانت معقولية الاولية والآخرية ، والظاهرية والباطنية ؛ في نسبتها الى الحق ، معقولية نسبتها الى الخلق — لما كان ذلك مدحًا في الجناب الالهي ؛ ولا استعظم العارفون بحقائق الاسماء ورودَ هذه النسب . بل يصل العبد اذا تحقق بالحق ، أن تنسب اليه الاضداد وغيرها ، من عين واحدة لا تختلف . واذا كان العبد يتصور في حقه وقوع هذا ، فالحق أجدر وأولى اذ هو المجهول الذات . فمثل هذه المعرفة لا تنال الا من هذه المنازل ، التي وقع السؤال عنها .

واما عدد الاولياء الذين لهم عدد المنازل ، فهم ثلاثمائة وستة وخمسون نفسًا . وهم الذين على قلب آدم ونوح وابراهيم وجبريل وميكائيل واسرافيل . وهم ثلاثمائة ، واربعون ، وسبعة ، وخمسة ، وثلاثة : فيكون المجموع ستة وخمسين وثلاثمائة . وهذا هو عند أكثر الناس ، من اصحابنا . وذلك للحديث الوارد في ذلك . واما طريقتنا ، وما يعطيه الكشف الذي لا مرية فيه ، فهو المجموع من الاولياء ، الذي ذكرنا اعدادهم في اول هذا الباب . ومبلغ ذلك ، خمسمائة نفس وتسعة وثمانون نفسًا . منهم واحد لا يكون في كل زمان ، وهو الختم المحمدي ؛ وما بقي ، فهم في كل زمان : لا ينقصون ولا يزيدون .

— واما الختم ، فهذا زمانه . وقد رأيناه وعرفناه . تمم الله سعادته ! علمته بفاس ، سنة خمس وتسعين وخمسمائة —

والمجمع عليه ، من اهل الطريق ، أنهم (= الاولياء) على ست طبقات امهات : اقطاب ، وأئمة ، واوتاد ، وابدال ، ونقباء ، ونجباء . واما الذين زادوا على هؤلاء ، في الكشف ، فطبقات الرجال عندهم ، الذين (الاصل : الذي) يحصرهم العدد ، ولا يخلو عنهم زمان — خمس وثلاثون طبقة لا غير ، ورتبة المتمين . ولكن (المتمين) لا يكونان في كل زمان ، فلهذا لم تلحقها بالطبقات الثابتة في كل زمان + » . (فتوحات : ٢ : ٤٠—٤١)

٤٣) بين الصديقية والنبوة . والمحضر من رؤساء هذا المنزل . وقد اشار الى تعيين هذا المقام ابو عبدالرحمن السلمي في « اغاليط الصوفية » : ولما عاينت هذا المقام وتحققته لم اعرف له اسمًا ، ولا رأيت احدًا ذكره ، بل منه ابو حامد وامثاله . ولا قدرت ان اشك فيا تحققته ، حتى رأيت ابا عبد الرحمن قد اشار اليه . فعرفت المقام . وسماه منزل القربة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤١ب — ٢٤٣أ)

+ «الجواب : بين الصديقية ونبوة الشرائع . فلم تبلغ (منزلتهم) منزلة نبي التشريع ، من النبوة العامة ؛ ولا هم (الاصل: هو) من الصديقين ، الذين هم اتباع الرسل لقول الرسل. وهو مقام المقربين . وتقريب الحق لهم على وجهين : وجه اختصاص ، من غير تمحّل ، كالقائم (بدينه) في آخر الزمان وامثاله ؛ ووجه آخر ، من طريق التمحّل ، كالخضر وامثاله. والمقام واحد ، ولكن الحصول فيه على ما ذكرناه . ومن ثم يتبين الرسول من النبي . ويعم الجميع هذا المقام ؛ وهو مقام المقربين والافراد . وفي هذا المقام يلتحق البشر بالملأ الاعلى ، ويقع الاختصاص الالهي فيما يكون من الحق لهؤلاء .

— واما المقام ، فداخل تحت الكسب ؛ وقد يحصل اختصاصاً . ولهذا يقال في الرسالة : انما اختصاص ، وهو الصحيح . فان العبد لا يكتسب ما يكون من الحق سبحانه . فله التمحّل في الوصول ، وما له تمحّل فيما يكون من الحق له ، عند الوصول . —

ومن هناك منبع العلم اللدني ، الذي قال الله فيه ، في حق عبده خضر : « آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنّا علماً .» المنى ، آتيناه رحمة : علماً من عندنا ، وعلمناه من لدنّا . وهو (= العلم اللدني) من الاربعة المقامات : الذي هو علم الكتابة الالهيه ، وعلم الجمع والتفرقة ، وعلم النور والعلم اللدني .

واعلم ان منزل اهل القربة ، يعطيهم اتصال حياتهم بالآخرة : فلا يدركهم الصَّعْق ، الذي يدرك الارواح . بل هم ممن استثنى الله تعالى في قوله : « ونفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله» . وهذا المنزل هو اخص المنازل عند الله واعلاها . والناس فيه على طبقات ثلاث . فمنهم من يحصّله برمته ، وهم الرسل ، صلوات الله عليهم ! وهم فيه على درجات ، يفضل بعضهم بعضاً . ومنهم من يحصل منه الدرجة الثانية ، وهم الانبياء ، صلوات الله عليهم ! الذين لم يبعثوا ، بل تعبّدوا بشريعة موقوفة عليهم . فمن انبعهم كان (منهم) ، ومن لم يتبعهم لم يوجب الله على احد اتباعهم . وهم فيها على درجات ، يفضل بعضهم بعضاً . والطبقة الثالثة هي دونها ، (وهي) درج النبوة المطلقة ، التي لا يتخلل وحيها مَلَكٌ .

ودون هؤلاء الطبقات ، هم الصديقون ، الذين يتبعون المرسلين . ودون هؤلاء + الصديقين الصديقون ، الذين يتبعون الانبياء ، من غير ان يجب ذلك عليهم . ودون هؤلاء الصديقين الذين يتبعون اهل الطبقة الثالثة ، وهم الذين انطلق عليهم اسم المقربين ، اعني اهل الطبقة الثالثة . ولكل طبقة ذوق لا نعلمه الطبقة الاخرى ، ولهذا قال الخضر لموسى عليه السلام : « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟ » . والخُبْر (هو) الذوق ، وهو علم حال . وقال الخضر لموسى : «انا على علم ، علمنيه الله ، لا تعلمه انت ، وانت على علم ، اعلمكه الله ، لا أعلمه انا !» . +»

(فتوحات ٢ : ٤١)

(السؤال الثالث) وأين الذين جاوزوا العساكر، وباي شيء جاوزوا[٢٤]؟

---

٢٤) «بحصولهم في المرتبة الخامسة، وهي النيابة؛ وليس فوقها مرتبة» (الجواب المستقيم ورقة رقم ٢٤٣أ).

+ «فلنقل في الجواب: نذكر اولاً ما معنى العساكر، وما معنى حيازهم لها؛ ثم نبين بأي شيء حازوا. فان هذا السائل اذا ارسل سؤاله، من غير تقييد لفظي او قرينة حال — ينبغي للمجيب ان يجيب بالمعاني، التي تدل عليها تلك الكلمة في اصطلاحهم؛ فما اخلّ بشيء منها، فما وفى الكلمة حقها.

فاعلم ان العساكر، قد يطلقونها ويريدون بها شدائد الاعمال والعزائم والمجاهدات. كما قال القائل:

«ظل في عسكرة من حبها»

اي في شدة. — واعلم ان مبنى هذا الطريق، على التخلق باسماء الله+. فحاز هؤلاء العساكر، بالتخلق باسمه «الملك». فان الملك هو الذي يوصف بانه يحوز العساكر. والملك معناه ايضاً الشديد. فلا تحاز الشدائد والعزائم الا بما هو اشد منها. يقال: ملكت المعجين، اذا شددت عجنه. قال قيس بن الخطيم، يصف طعنة:

«ملكت بها كفي فأنهرت فتقها»

اي شددت بها كفي حين طعنته. — فحازوا العساكر، بالطريقين باسمه (تعالى) «الملك».

فأما الشدائد، التي حازوها في هذا الباب، فهي البرازخ التي أوقفهم الحق، في حضرة الافعال، بين نسبتها الى الله ونسبتها الى انفسهم. فيلوح لهم، ما لا يتمكن لهم معه، ان ينسبوها الى الله: فهم هالكون بين حقيقة وأدب! والتخليص من هذا البرزخ، من اشد ما يقاسيه العارفون. فان الذي يتزل عن هذا المقام يشاهد احد الطرفين، فيكون مستريحاً لعدم المعارض.

واعلم ان صاحب هذا المقام، هو الذي أعلمه الله بجنوده، التي (الاصل: الذي) لا يعلمها الا هو. قال تعالى: «وما يعلم جنود ربك الا هو». وقال: «وان جندنا لهم الغالبون». فصاحب هذا المقام، يعرفه جنود الله، الذين لا حاكم عليهم في شغلهم الا الله. ولهذا نسبهم (الله) اليه؛ فهم الغالبون، الذين لا يغلبون. فمنهم الريح العقيم، ومنهم الطير، التي ارسلت على اصحاب الفيل. وكل جند ليس لمخلوق فيه تصريف، هم العساكر التي حازها صاحب هذا المقام علماً.

وقال، صلى الله عليه وسلم، فيهم: «نصرت بالصبا». وقال: «نصرت بالرعب بين

(السؤال الرابع) والى اين منتهاهم[٤٤] ؟

يدي مسيرة شهر » . – فاذا منح الله صاحب هذا المقام علمَ هؤلاء العساكر ، رمى بالحصى في وجوه الاعداء، فانهزموا . كما رمى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة حنين . فَلَه الرَّمْيُ . وهم (= جنود الله) لا يكون منهم غَلَبة الا بأمر الله ، ولهذا قال(تعالى): « وما رميت ، اذ رميت ، ولكن الله رمى » .

فكلُّ منصور بجندِ الله ، فهو دليل على عناية الله به . ولا يكون منصورًا بهم ، على الاختصاص ، الا بتعريف الالهي . فان نصره الله ، من غير تعريف الالهي ، فليس هو من هذه الطبقة ، التي حازت العساكر . فلا بد من اشتراط النصر حقًا في ذلك القصد .

وصاحب هذا المقام ، يعين لاصحابه مصارع القوم ، كما فعل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في غزوة بدر . فانه ما من شخص ، من اجناد الله ، الا وهو يعرف عين من سلّط عليه ، ومتى يسلط عليه ، واين يسلط عليه . فتتشخص الاجناد لصاحب هذا المقام ، في الاماكن التي هي مصارع القوم : كل شخص على صورة المقتول وباسمه . فيراه صاحب هذا المقام ، فيقول : هذا هو مصرع فلان !

وهذا هو مقام الامام الواحد ، من الامامين . واقرب شيء ينال به هذا المقام البغض في الله . فتكون هم هذه الطبقة وانفاسهم من جملة العساكر ، التي حازوها بما ذكرناه . وهو الموالاة في الله ، والبداوة في الله ، عن عزم وصدق ؛ مع كونهم لا يرون الا الله ! فيجدون من الانضغاط وكظم الغيظ ما لا يعلمه الا الله . والعين تحرسهم في باطنهم : هل ينظرون في ذلك انه غير الله ؟

فاذا تحققوا ذلك ، حازوا عساكر الحق ، التي هي اسماؤه ، سبحانه ! اذ اسماؤه،تعالى، عساكره ؛ وهي التي يسلطها على من يشاء ويرحم بها من يشاء . فمن حاز اسماء الله ، فقد حاز العساكر الالهية . ورئيس هؤلاء الاجناد الاسمائية ، كما قلنا ، الاسم « المَلِك » ، وهو المهيمن عليها ؛ ومن عداه ، فأمثال السَّدَنة له . ويكفي هذا القدر ، في الجواب ، عن هذا السؤال . + » (فتوحات ٢ : ٤١-٤٢)

٤٤) « الى حل ما عقدوا عليه ونقض ما عسكروا اليه !» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢) .

+ « قلنا في الجواب : لا شك ولا خفاء ان هذه الطبقة هم اصحاب عقد وعهد . وهو قوله (تعالى): « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلًا . + » فاذا حصلت هذه الطبقة ، فيما قلنا ، في غزوهم ، وسلكوا سبيل جهادهم – كان منتهاهم الى حل ما عقدوا عليه ، ونقض ما عسكروا اليه !

وذلك ، ان الاعيان (هي) التي عسكروا لها وعقدوا مع الله ان يبيدوها . فلما توجهوا بعساكرهم ، التي اوردناها ، اليها — كانت آثار تلك العساكر فيها ايجاد اعيانها . وهو خلاف مقصود العارف بهذه العساكر . اذ كان المقصود اذهاب اعيانها ، والحاقها بمن لا عين له . وما علم ان الحقائق لا تتبدل ، وان آثار العساكر فيها الوجود . (و) اذ كان سبق العدم لها (= لهذه الاعيان) لعينها ، فلا تؤثر فيها هذه العساكر العدم ؛ لان العدم لها من نفسها ؛ فلم يبق الا الوجود : فوقع غير مقصود العارف . وعلم عند ذلك العارف ان تلك الاعيان مظاهر الحق : فكان منتهاهم اليه ، وبدؤهم (الاصل : وبدأهم) منه ، وليس وراء الله مرمى !

فان قلت : فالذات ، الغنية عن العالمين ، وراء الله . — قلنا : ليس الامر كما زعمت ، بل الله وراء الذات متقدمة . وليس وراء الله مرمى ! فان الذات متقدمة على المرتبة (= مرتبة الالوهية ، الله) في كل شيء ، بما هي مرتبة لها : فليس وراء الله مرمى !

فحصَّلوا (= هذه الطبقة من الاولياء) من العلم بالله ، ما لم يكن عندهم ، بالقصد الاول حين حازوا العساكر . وكان الذي حجبهم ، ابتداء ، عن هذه المعرفة ، غيرتهم ان يشترك الحقّ مع كون من الاكوان : في حال ، او عين ، او نسبة . فلهذا كان مقصودهم ان يلحقوا الاعيان بمطلق العدم .

و(هذا) هو المقام ، الذي تشير اليه الباطنية بقولها ، في جواب من يقول لها : الله موجود ؟ — فتقول : (الله) ليس بمعدوم ! فاذا قلت لهم : الله حي ؟ — فيقولون (الاصل: تقول) : ليس بميت ! فان قيل لهم : فالله قادر ؟ — قالوا (الاصل: قالت) : ليس بعاجز ! فلا تجيب (هذه الطائفة) قط بلفظة تعطى الاشتراك في الثبوت ؛ فتجيب بالسلب !

وهذا كله من باب الغيرة . ولا تقدر (هذه الطبقة من الاولياء) تنفي الاعيان ، فتتعين جولاء العساكر على اعدام هذه الاعيان ، وزوال حكم الثبوت منها . فتجد العساكر توجدها ، وتكسوها حلة الوجود . فاذا رأت انها مظاهر الحق ، رضيت بان تبقيها اعيانا ثابتة (في عدمها الاصلي) ، ولا تراها موجودة (فعلا) . ويكون عين شهودها ، ناظرة فيها الى وجود الحق ؛ وانه لا وجود اكتسبته من الحق (فتنسب اليها) ؛ بل حكمها مع (هذا) الوجود حكمها ولا وجود ؛ وان الذي ظهر ما هو غير (الوجود الحق ، الذي هو وجود لا بشرط شيء) . هذا غايتها ! وهو قوله (تعالى) : «الى ربك منتهاها» . فكان منتهاها ربها !

فاما من كانت عساكره المزاحم ، فتنتهى الى الرخص من طريقين . الطريق الواحدة ، احدية المحبة فيها ، فيكون منتهاهم الى شهودها . وهو الذي اشار اليه ، صلى الله عليه وسلم ، بقوله : «ان الله يحب ان تؤتى رُخَصُهُ ، كما يحب ان تؤتى عزائمه» . فينحل عقد الاخذ بالعزائم بهذه المشاهدة لكونه يفوته من العلم بالله على قدر ما فاته من الاخذ بالرخصة . والطريقة

(السؤال الخامس) وأين مقام[أ] أهل المجالس[ب] والحديث[ت](٤٥) ؟

الاخرى ، تنتهي جم الى (أنّ) شهود كونه في العزائم ، هو عين كونه في الرخص . وهم لا نسبة لهم في واحدة منها . فينحل ما عقدوا عليه ، انحلالاً ذاتياً لا تمثّل لهم فيه .

ومن هذا المقام ، يقول بعضهم : بتفضيل الرسل ، بعضهم على بعض ، على انه في نفس الامر . كما ورد في الخطاب ، من قوله (تعالى) : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » . فينتهي جم ، هذا الامر ، الى حلّ عند التفضيل بقوله(تعالى) : « لا نفرق بين احد من رسله » . ومن فضّل فقد فرّق . فلولا وحدانية الامر ، ما كان عين الجمع عين الفرق .

كما ان السالك يمشي حنبلياً او حنفياً ، مقتصراً على مذهب بعينه ، يدين الله به ، لا يرى مخالفته . فينتهي به هذا المشهد الى ان يصبح يتعبد نفسه بجميع المذاهب ، من غير فرقان . ومن هنا يبطل النسخ عنده ، الذي هو رفع الحكم بعد ثبوته ، لانقضاء مدته .

فالى ما ذكرناه منتهاهم ، على حسب ما اعطته عساكرهم . فان العساكر تختلف : فان جند الرياح ما هي جند الطير ؛ وجند الطير ما هو جند المعاني ، الحاصلة في نفوس الاعداء كالرّوع والجبن . فتنتهي كل عسكر الى فعله ، الذي وجّه اليه : من حصار قلعة ، وضرب مصافّ ، او غارة أو كبْسة . كل عسكر له خاصية ، في نفس الامر ، لا يتعداها (الاصل : يتعداه) . قال الله ، تعالى ، في الطير : « ترميهم بحجارة » . وقال في الريح : « ما تذر من شيء ، أتت عليه ، الا جعلته كالرميم » . وقال في الرعب : « وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم » .

فانظر منتهى كل عسكر الى ما أثر في نفس من عسكر اليه . فالحق لا يتقيد ، اذ كان هو عين كل قيد . فالناس بين محجوب وغير محجوب .

جعلنا الله ممن أشهدهُ الحق في عين حجابه ،

وفي رفع حجابه ،

وفيما كان له من وراء حجابه ! + »

(فتوحات ٢ : ٤٢-٤٣) .

٤٥) + « اهل الحديث ، خلف الحجاب الاقدس ومجالسهم ، حيث هم ، من خلف ذلك الحجاب . وان كان سؤاله عن اهل المجالس مشاهدة ، من غير حديث ، فعلى الكثيب الابيض : على المنابر والاسرة والكراسي والمراتب » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٢ أ)

أ مقاد ٧ . ب النظر ٧ . ت - ٧ .

+ «قلنا في الجواب : أما اهل المجالس المحدّثون ؛ فجالسهم خلف الحجاب الأنزه (الاصل: الانزل) الاقوس ، في النزول . ولهم ست حضرات . لهم ، في الحضرة الاولى ، ثمانية مجالس . المجلس الثاني والسادس يسمى مجالس الراحات . وهي من باب رفق الله بالعباد ، الذين لهم هذه الاحوال . (ولهم ايضاً) مجلسان ، (اما +) الاول الذي هو الرابع والثامن ، فهما مجلسا الجمع بين العبد والرب ؛ ومجلس الفصل بين العبد والرب ، على مراتب أينها . واما الاربعة مجالس ، التي بقيت ، فالحديث فيها على مراتب متعددة . وكذلك الحضرة الثانية . والحضرة الرابعة فيها ثمانية مجالس ، على ما ذكرناه . واما في الحضرة السادسة فجلسان . واما في الحضرة الثالثة فستة مجالس . واما في الحضرة الخامسة فاربعة مجالس . وانتهت امهات مجالس اهل الحديث مع الله ، من حيث هم محدثون لا من حيث لهم مجالس .

واما اهل المجالس ، لا من كونهم محدّثين ، فهم اهل الشهود ؛ وهم على اربع مراتب في مجالسهم . فالمحدّثون جلوسهم ، من حيث هم ، من خلف ذلك الحجاب . و(اما) اهل المجالس ، فمن حيث المراتب التي اعد(ها) لهم الحق . فمنهم من اعد لهم منابر ؛ ومنهم من اعد لهم ارائك ؛ ومنهم من اعد لهم كراسي ؛ ومنهم من اعد لهم درانك . والكل يشهدون جليسهم ، من غير حديث من الطرفين .

فلنذكر مجالس اهل الحديث . وهي ثمانية واربعون مجلساً ؛ وعند الترمذي الحكيم ستة وخمسون مجلساً . لان الترمذي يراعي من الانسان حظّ طبعه ، فيزيد اثني عشر مجلساً ؛ وهو الصحيح . ومن يقتصر منا في الانسان على روحانيته ، من غير طبيعته ، فهي ستة وثلاثون مجلساً . فلهذا وقع الخلاف بيننا وبين العلماء ، من اهل هذه المجالس . فمنا من اعتبر ذلك ، ومنا من لم يعتبر ؛ والاولى اعتبارها .

فاما مجالس الجمع بين العبد والرب ، فاربعة مجالس . يعلم فيها يحادثه به الحق فيها كيف يخاطب الخلق من اجل الله ، وكيف يثني على الحق ، تبارك وتعالى ! ويعلم معنى قوله : « بورك من في النار ومن حولها ! » . ويحادثه فيها بمثل قوله (تعالى) : « كلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً . » فيعرف من اين طيب له ، وبما طيب له ، وبما طاب له . ويعلم الاسم « الاخر » ، ما نسبته الى الحق ، وما حظ العبد منه . ويعلم ما يقول ، كلما ورد على ملأ اعلى : من روح وبشر ، في السموات والارض . ويعلم شهادة التوحيد ، بالنسبة الى الله ، وبالنسبة الى الملايكة ، وبالنسبة الى العلماء ، الخاصلة لهم من باب الشهود لا من باب الفكر . ويعلم منازل الرسل ، ومن اين خصوا بما خصوا به ، وبماذا يفضل بعضهم بعضاً ، وبماذا لا يفضل ، ومن اي نسبة ينسبون الى الله . واشياء غير هذا ، محصورة .

واما مجالس الفصل ، فيحصل فيها ما يحصل في هذه المجالس ، من طريق اخرى وذوق آخر . غير انه يختلف عليه الحال ، عند انتهاء المجالسة ، بمشاهدة اسماء الاهية لم يكن

(السؤال السادس) وكم عددهم[٤٦] ؟

يعرفها قبل ذلك . او بمشاهدة اسماء الالهية ، من حيث اعيان اكوان خاصة . او بمشاهدة اعيان اكوان خاصة ، من غير ارتباط باسماء الالهية ؛ وان كانت في نفس الامر مرتبطة بها ولكن يكون بينها وبين هذا العبد حجاب رقيق .

. وأما المجالس الاربعة ، التي بقيت ذات المراتب ، فسأذكر ما يكون فيها وفي هذه الست الحضرات من الحديث ، في الفصل الثامن ، في سؤال : ما حديثهم ونجواهم ؟ وهذه المجالس ايضاً ، توجد في الحضرة الثانية والرابعة . واما الحضرة الثالثة ، فمجالسها ستة مجالس . واما الحضرة الخامسة ، ففيها اربعة مجالس . واما الحضرة السادسة ففيها مجلسان . وهذه كلها مجالس اهل الحديث ، لا مجالس الشهود الا عند بعض العارفين ، فانه قد يكون مجالس شهود ، متخيل ، من خلف حجاب الخيال .

واما الاثنا عشر مجلساً ، الذي لم على مذهب الترمذي كما قررنا ، وهي تمام الثمانية والاربعين مجلساً ، فحديثهم فيها نذكره عند ذكر الستة والثلاثين مجلساً ، في الفصل الثامن ان شاء الله ! فان ذلك الفصل سورته . + »

(فتوحات ٢ : ٤٣-٤٤)

٤٦) « عدد اهل بدر : اهل الحديث منهم اربعون نفساً » (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{٢}{٣٤٣}$) .

+ « قلنا في الجواب : عدد اهل بدر . اهل الحديث منهم اربعون نفساً ، وما بقي فلهم مجالس الشهود ، من غير حديث . فان الحديث للحضور مع المنى ، الذي يعطيه الكلام ، لا مع المتكلم . الا ان يكون المتكلم بحيث يتخيله السامع ، فيجمع بين الحديث والشهود . ولكن (هذا) ما هو الشهود المطلوب لاهل الاذواق . فلا بد ان تكون انت ، من حيث انت ، للاستفادة عند الحديث . ولكن (ثَمَّةَ) تسمعه لا بعينك ، بل بظهوره فيك ! فان كونك مظهراً تسمع ، ومن كونك عيناً تكون مظهراً . فافهم !

وقد اشار لسان الخبر الصدق الى هذا العدد ، بقوله : « من أخلص لله اربعين صباحاً ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » . أي كان من + (اهل) الحديث بالله عن الله . والصباح ظهور عين العبد مظهراً لا عيناً ، وبطون عينه في مظهره : كبطون الليل عند وجود الصباح . والاربعون اشارة الى اعيان هؤلاء الاشخاص . فهو عين ما قلنا : ان اهل الحديث منهم اربعون نفساً .

فبقي اهل المجالس ، من غير حديث ، مائتين وثلاثة وسبعين نفساً ؛ وهم تمام الثلاثمائة والثلاثة عشر . فجلوسهم جلوس مشاهدة للاستفادة ، من حيث ان اعيانهم مظهر لبصر

(السؤال السابع) وبأي شيء استوجبوا هذا على ربهم [٤٧] ؟

الحق . فيرونه به ، وهم غيب في ذلك المظهر . ونكون استفادتهم ، من ذلك التجلي ، استفادة اصحاب الرصد : فتعطيهم الارصاد العلوم ، من غير حديث ؛ لكنه حديث معنوي ، بدلالات ظاهرة تقوم ، تلك الدلالات ، مقام الخطاب بالحروف والاشارات ، في عالم الحروف والاشارات .

فالغرض الحاصل من هذه المجالس ، سواء كانت مجالس شهود او حديث ، حصول علوم يتنقش في عين هذا المظهر ، من نظر او سماع . وهؤلاء هم المتقى بهم ، من اهل الله . + »
(فتوحات ٣ : ٤٤)

٤٧) « لا يجب على الله شيء ، الا ما أوجبه على نفسه ، منةً منه وفضلاً . فاستوجبوا ذلك ببذلهم مراكيهم في زمان الزيادة ، استثارًا للمواصلة . وان كان فيها نقص ، فكان الكمال التام بهذه المراعاة . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٣ أ)

+ « قلنا في الجواب : الادب الالهي ، انه لا يجب على الله شيء ، بإيجاب موجب غير نفسه . فان اوجب هو على نفسه امرًا ما ، فهو الموجب والوجوب والموجَب عليه ، لا غيره ! ولكن ايجابه على نفسه لمَن اوجب عليه ، مثل قوله : « فسأكتبها للذين يتقون » ، يعني الرحمة الواسعة . فأدخلها تحت التقييد ، بعد الاطلاق ، من اجل الوجوب . ومثل قوله (تعالى) : « كتب ربكم على نفسه الرحمة انه + . . . » الآية .

فهل هذا كله من حيث مظاهره ؟ او هو وجوب ذاتي لمظاهره ، من حيث هي مظاهر لا من حيث الاعيان ؟ فان كان للمظاهر ، فما اوجب على نفسه الا لنفسه . — فلا يدخل تحت حد الواجب ، ما هو وجوب على هذه الصفة . فان الشيء لا يلزم (الاصل : يذم) نفسه . — وان كان للاعيان + القابلة ان تكون مظاهر ، كان وجوبه لغيره اذ الاعيان غيره ، والمظاهر هويته . فعلى ، بعد هذا البيان ، ما ثبتَ في الجواب ؛ ويكون الجواب بحسب ما قيده الموجب .

فاستوجبوا ذلك على ربهم ، في موطن ، بكونهم يتقون ويؤتون الزكاة لغة وشرعًا . — « والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول ، النبي ، الامي ، الذي يجدونه مكتوبًا عندهم » . فهؤلاء طائفة مخصوصة ، وهم اهل الكتاب + . فخرج من ليس باهل الكتاب من هذا التقييد الوجوبي ؛ وبقي الحق عنده من كونه رحمانًا ، على الاطلاق .

واستوجبت طائفة أخرى ذلك على ربها : « انه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح » ، فقيد بالجهالة . فان لم يجهل لم يدخل في هذا التقييد ، وبقيت الرحمة في حقه مطلقة ، ينتظرها من عين المنة التي كان منها وجوده ، اي منها كان مظهرًا للحق ، لتتميز عينه ، في حال اتصافها بالعدم ، عن العدم المطلق الذي لا عين فيه .

الا ترى ابليس كيف قال لسهل في هذا الفصل : يا سهل ، التقييد صفتك لا صفته ! فلم ينحجب بتقييد الجهالة والتقوى عما يستحقه من الاطلاق ؛ فلا وجوب عليه ، مطلقاً ، اصلا . فبما رأيتَ الوجوب ، فاعلم ان التقييد يصحبهُ .

واما من رأى انهم استوجبوا ذلك على ربهم ، من غير ما ذكره ، تعالى ، عن نفسه — فنالوا يذلهم مراكبهم في زمان الزيادة ، طلباً للمواصلة ، وايثار الجناب الحق ، في زعمهم ؛ وان كان في ذلك نقص ، فهو عين الكمال التام بهذه المراعاة ؛ — فهذا ، عندي ، مثل ما قال الشاعر لعمر بن الخطاب ، حين حبسه :

ماذا تقول لافراخ بذي مَرَخ (الاصل: مرح) حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيتَ كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر ، هداك مليك الناس ، يا عمر
ما آثروك بها ، اذ قدموك لها لا بل لانفسهم قد كانت الاثر

فان كانوا بذلوا مراكبهم عن طاب الاهي ، يقتضي ذلك وجوباً الاهيًّا — كان مثل الاول . فانه لو لم يرد عنه ، تعالى ، الوجوب على نفسه ، لم نقل به ؛ فانه سوء ادب من العبد ان يوجب على سيده . غير ان هنا لطيفةً دقيقة ، لا يشعر بها كثير من العارفين بهذه المجالس . وذلك انه كما نطلبه لوجود اعياننا ، يطلبنا (هز ايضا) لظهور مظاهره (فينا) . فلا مظهر له الا نحن ، ولا ظهور لنا الا به . فبه عرفنا انفسنا وعرفناه ، وبنا تحقق عين ما يستحقه الاله !

فلولاه ، ولولا «نحن» ما كانا
فان قلنا : بأنَّا «هو» يكون الحق ايانا
فبدانا واخفاه وابداه واخفانا
فكان الحق اكوانا وكنا نحن اعيانا
فيظهرنا لنظهره سراراً ثم اعلانا !

فلما وقفوا على هذه الحقائق ، من نفوسهم ونفوس الاعيان سواهم ، تميزوا على من سواهم : بان علموا منهم ما لم يعلموا من انفسهم . واطلع الحق على قلوبهم ، فرأى ما تحلَّت (الاصل: تجلت) به ، مما اعطتها العناية الالهية وسابقة القدم الرباني ، (ف) استوجبوا على ربهم ، ما استوجبوه : من ان يكونوا اهلًا لهذه المجالس الثانية والاربعين . + »

(فتوحات ٣ : ٤٤—٤٥)

(يتبع)

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف (الباء)

بانقوسا — تقول العامة عن (بانقوسا) (بان قوسها) من حكايات يتداولونها أو انه نسبة الى نبي عظيم له ضريح نقش على سنامه الحجري اسمه (بانقوس) والصواب انها سريانية (بيت نقوشا) أي بيت الناقوس.

بتدين — من شوف لبنان مشهورة بقصر الامير بشير الشهابي حاكم لبنان فيها. واصل اسمها سرياني (بيت دينو) أي بيت الدين أو الحكم كانت أولاً خلوة للدروز فأخذها الامير بشير الكبير.

باشان — (عبرانية) بمعنى (التربة الخفيفة).

بئرسبع — في الطرف الجنوبي من أرض الموعد.

بانوب — بالمصرية القديمة (بي نوب) في بمعنى مسكن أو معبد و — نوب — المعبودة نوب أي — معبد الربة نوب —

بترون — في لبنان اسمها القديم — بتريس — أي بيت قطب القوم وفي معجم البلدان ضبطها (بَتْرُون).

البتر. لبنان — المسكن أو المحل أو (بيت أطرو) الودائع.

بَثَنِيَّة — Battaniiah — ويقال بَثْنَة وبَثْنِيَة وسماها بعضهم بطانية تحريف بثنية ولعل اصلها عربي من البثنة وهي الارض السهلة والرملية اللينة أو محرفة عن (باشان) والعبرانية بمعنى أرض خفيفة رملية وموقعها شرقي بلاد حوران واشتهرت بجودة حنطتها.

بحزان — سريانية بيت الرزى.

بُخارى — في تركستان واسم بخارى القديم تربكستره .

بر الياس — البقاع — أما يونانية من (بارا) معاكس و — ايلياس الشمس أي معاكس الشمس ، أو من — بارياس — اليونانية بمعنى السهل. أو من — بر — السامية بمعنى ابن و — ايلياس — اليونانية بمعنى الشمس فتكون — مولد الشمس — وقيل من بر وبار الياس أي ابن الشمس .

بسابا — قرية صغيرة في الشوف اسمها سرياني ، بمعنى بيت الشيخ .

البسفور — يونانية — (بوسفوروس) أي معبر البقرة أما لقرب مسافتها اذ تجتازها البقرة بسهولة أو لخرافة يونانية ان الزبة — إيُو — منحها المشتري بقرة فاجتازته بساعة .

بشتفين — بلدة من المناصف في لبنان سريانية ومعناها — بيت الشركاء —

البصرة. عراق — بالكلدانية القديمة — بِسرَت وبالسريانية الحديثة — بسرُو — أي خبز — وقيل من البصرة بالعربية ومعناها الارض الغليظة الصلبة الحجارة وقيل الأرض ذات الحصى . وقيل الحجارة الرخوة البيضاء . — وقال آخر: ان بصره تعريب — بس راه — بالفارسية ومعناه — الطرق الكثيرة المتشعبة — وقيل ان الأول ارجح بُصرَى إسكي شام — في حوران ومعنى — إسكي شام — بالتركية الشام القديمة وهي مدينة ذات آثار قديمة ذات شأن — وبصرة — عبرانية بمعنى قلعة .

بشامون — بلدة من شوف لبنان يرجح انها من اسم الالهة اشموني .

باكوكي — قرية قديمة بقرب جبل بعشيقه من أعمال نينوى محرفة عن اسمها القديم — بيت اكوري — بمعنى المزرعة أو مأوى الاكارين — وهي سريانية .

بردوني — اسم نهر زحلة — لبنان — يجري من بلدة تعفرتين — قاع الريم — ويصب بعد تخلله في نصف زحلة بنهر الليطاني واسم البَرَدوني يوناني — بَارِنذُونِيُوس من پاري حواليه — وذوينوس — الزلازل أي ارضهُ ترحل لزلزالها . وربما كان من — بر — ابن و — ادونيس — ادونيس معبود بمعنى — أي ابن ادونيس — تموز —

بشري — سريانية بمعنى — اللحم — وكان فيها هيكل للإله (سرس) إله الحنطة

فقالوا بالسريانية بيت سرس وحرفت الى بسري وهي قرية بجزين فيها أطلال هيكل اعمدته من الأعبل – كرانيت –

بَرَدَى – Barada – نهر دمشق العظيم المشهور سماه اليونانيون قديماً خريسورُّواس أي مجرى الذهب أو بردينس وربما كان هو المسمى في التوراة نهر ابانة – وقال آخرون ان نهر الاعوج وهو الأصح ويخرج بردى من الجبل الشرقي قرب الزبداني على ارتفاع ١١٤٩ قدماً عن دمشق على مسافة ٢٣ ميلاً منها. والينبوع من عيون هناك يجري الى الجنوب الشرقي الى الفيجة وينضم اليه ماؤها وينصب كله في قرية جمرايا وينقسم منها الى فرقتين الصغرى نهر يزيد والكبرى نهر بردى فيصل بردى الى دمر ويفترق ثلاث شعب تسمى نهر تورا او نهر باناس ونهر بردى فتمتزج هذه الثلاثة في الوادي ثم في الغوطة الى ان يصب في بحيرة المرج شرقي دمشق. قال العماد الكاتب يذكر فروع بردى :

الى ناس – باناس – لي صبوةٌ بها الوجود داعٍ وذكري مشيرُ
– يزيد – اشتياقي وينمو كما – يزيد – يزيد – وتورا – يثورُ
ومن – بردى – برد قلبي المشوق فها أنا من حرِّه مستجيرُ .

ويرجح انها من كلمة – بَرَادِيس – اليونانية بمعنى الفردوس وحرفت بكلمة البريص وقال الشاعر :

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسلِ

برزه – قرب دمشق اصلها من – برزيسيس – بمعنى الفردوس أيضاً.

برجا – عبرانية بمعنى طرف أو موضع العرس .

برغامس – عبرانية بمعنى موضع العرس .

بكشيقا – سريانية أي بيت المظلوم.

باغجه – أو بغجه تركية بمعنى جنة ركبت منها أعلام مثل بغجه سراي وبغجه كوي وبغجه لي صو نهر بالاناضول.

بعقلين – من شوف لبنان مشهورة واسمها سرياني من – باي اعوقلين – أي بيت حزن المقربين وهي قصبة الشوف.

بغداد – مدينة عراقية مشهورة بناها الخليفة ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس شرع بتخطيطها سنة ١٤٥ هجرية واتم بناءها سنة ١٤٩ وجعلها المنصور مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب اليه من بعض. وسماها مدينة السلام.. وسمى القسم الذي بناه الى الجانب الغربي – الزوراء. – وفيها محلة الكرخ وهي لفظة سريانية بمعنى الحصن. قيل انها كان فيها سوق تقصدها تجار الصين فيربحون ويقولون – بغ دار – أي عطية بغ وبغ اسم ملكهم. وقيل بغ اسم صنم وداد بمعنى أعطى وقيل غير ذلك اختلف العلماء في تحليل هذه اللفظة فقال بعضهم ان كلمة – بغ – اسم صنم كان يعبد و – داد – عطية واسندوا ذلك الى قصة اكسرى أنو شروان ملك الفرس لما اقطع أحد خصيانه هذه المدينة فقال – بغ – دادي – أي الصنم أعطاني. وقال ياقوت الحموي الرومي في معجم البلدان عن آراء كثيرين منها قول الأعاجم – باغ – بستان و – داد – اسم رجل. وقال عبدالله بن مبارك ان – بغ – شيطان و – داد – عطية. ولعلها آرامية – بيت كداد – أي بيت القطيع فعوض عن – بيت – بابا. كما في كثير من الأسماء مثل بكفيا – بيت الصخرة.

بغراس = أو بعراز مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ وكذلك بينها وبين اسكندرونة. كانت حصينة فيها قلعة شاهقة وأعين وحدائق قيل كانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها على سبيل البر ذكرها البحتري في قصيدة مدح بها احمد بن طولون بقوله:

سيوفٌ لها في كل دارٍ غدا ردىً وخيلٌ لها في كل دارٍ غدا نهبُ
علت فوق – بغراس – فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها دربُ

والبلدة اليوم قرية صغيرة تسمى بغراص بقضاء بيلان من ولاية حلب اسمها Pagrac موقعها في لحف جبل اللكام وبينها وبين انطاكية اربع فراسخ على يمين الذاهب من حلب الى انطاكية.

باقوفا – آرامية – بيت قوفا – بمعنى موضع القضبان والأخشاب لكثرة غاباتها وهي اشورية.

بجر الزقاق – هو بوغاز جبل طارق ، وسُمي قديماً اعمدة هرقل ومعبر جبل الزقاق ، وجبل الفتح بشعقاب – ان بشعقاب الآن هي في بلدة كفرمتى في الشوف وهو الحي الغربي منها . ومنها نشأ البشعقابي المؤرخ وتاريخه كان عند المرحوم الأمير محمد الامين ارسلان وضاع الآن.

البدرانية – اسم مدرسة في دمشق لعلها من – باتيرا – اليونانية بمعنى – الأب – فمعناها – مدرسة الآباء – أو تحريف – البطركية – على لسان العامة .

بشنزين – في الكورة قرب طرابلس الشام وهي خصبة التربة حتى ان أغراسها توضع متلاصقة وتعطي ثماراً لذيذة . وهي مجوفة وحولها أعلى منها . ويظهر انها كانت بحيرة قبلاً أو أنها كان البحر يغمرها لوجود متحجرات حيوانات بحرية فيها ولا سيما الأسماك .

بُنطُس – أو بنطش قسم قديم من آسية الصغرى سُمي هكذا لوقوعه على الشاطئ الجنوبي من – بنطس اكسينوس – في البحر الاسود.

بعلبك – مركبة من كلمتين فينيقيتين بعل وبك بمعنى – رب الوادي – وقيل معناهما – مدينة البعل – أو بيت البعل . وسماها اليونان هليوبوليس أو اليوبوليس فالير بمعنى الشمس وبوليس مدينة أي مدينة الشمس وهي من اعظم المدن الشرقية بآثارها الضخمة وحدائقها ولعلها من – بعل باكوس إله الخمر .

بكاسين – مصغَّر بكاسًا – بمعنى دجاج الحرش – ذكرها مؤرخو الصليبيين باسم – بَكَسا – وهي من قرى لبنان قرب جزين وقيل انها سريانية بمعنى بيت الكؤوس .

بناويت – مصريتها القديمة (بلاويط) فابدلها الاقباط بناويت.

بَهِنْسُون – سماها ياقوت ساسانيان وديودورس.

باغستانون أو – دوس – يقال أصل الاسم فارسي – بغ استان – مدينة الصنم أو المعبد فحرَّفه اليونان . وتسمى ايضاً بيستون Bisoutoun ومعناه بدون اساطين مدينة فارسية خربة من العراق العجمي بين همذان وكرمنشاه

وفيها ظهرت الكتابة بالقلم المسماري التي قرأهـا السر هنري رولنسون فكان أول من عرف الكتابة المسمارية وقرأها.

بقاع توتا ــ لبنان ــ سهلات التوت.

بقاع العزيز ــ العزيز من (العُزّى) وهي إلهة شمسية عند العرب ومنها بزيزا ــ في الكورة قرب طرابلس . فمعناه بقاع الشمس نسبة الى هيكل الشمس في بعلبك وهو أولى من قول بعضهم انه نسبة الى العزيز ابن الملك صلاح الدين الأيوبي لان هذا كان بمصر ومساحة سهل البقاع ٨٨٥ كيلومترا مربعاً .

بقعاتا ــ لبنان ــ سريانية بمعنى ــ القاع ــ كان يسميها الأمير بشير الكبير الشام الصغيرة.

بوش ــ سُميت قديماً ــ شن اهون ــ فدعاها الأقباط ــ بوشين ــ والعرب ــ بوش ــ بيت لحم ــ سريانية بمعنى بيت الخبز أو بيت الطعام ويسمى بيت لحم ــ افراته ــ بمعنى المخصبة دليل خصب ارضها ونجاح زراعتها .

بيروت ــ باروتا في الكرنك ــ قال سنكونياتون المشترع الفينيقي البيروتي في تواريخه مما ترجمه فعلون الجبيلي الى اليونانية ــ انها باسم بيروت زوجة ايل اول ملك على جبيل . وقيل فينيقيتها ــ بئرت ــ جمع بئر واعترض على هذا الاب مارتن اليسوعي في تاريخ لبنان. ويقول كاتبه مؤلف هذا المعجم عيسى اسكندر المعلوف انها باسم بعل بيريت الفينيقي وفي آثار مصر اسمها بيروتو ــ بمعنى السرو والصنوبر كما قال مسبرو الفرنسي وتحدق بها اشجار الصنوبر الكثيرة.

بيزنطية ــ استنبول ــ أو بيزنطيوم نسبة الى (ڤيزيس) الـذي ساد من ميغرة قبل المسيح بمدة ٥٠٠ سنة وبناها فسميت (ڤيزانديون) وحرفت الى هذا الاسم . ولما جاء قسطنطين الملك الكبير (كبيرهـا) فنسبت اليه باسم القسطنطينية .

بير سبع ــ من أقدم الاماكن في فلسطين حفر ابرهيم بيراً هناك وسماها بهذا الاسم ومعناه بير الحلف لأنه حلف هناك هو وابيمالك الملك.

بياس — وفي ياقوت (بيأس) وهي مدينة صغيرة شرقي انطاكية ويغلط بعضهم بتسميتها — بانياس — المار ذكرها في جنوبي لبنان. وقيل هي — آسوس — والحال ان آسوس تُعرف باسم اياس.

بيت عنيا — سريانية بيت الارتباك بلدة في فلسطين.

بيت حسدا — بيت الرحمة بلدة في فلسطين.

بيت فاجي — سريانية محل التقرص بلدة في فلسطين.

بيت مري — سريانية بمعنى بيت السادة على شرفة بخوق بيروت. ويمكن ان تكون من موري — Moerae — إلهة النحت عند اليونان. أو من كلمة موري المصرية بمعنى البحيرة لأنها تشرف على البحر.

(يتبع)

تعريف عن الكتب

موريتانيا الحديثة او العرب البيض في افريقيا السوداء

بقلم محمد يوسف مقلد

دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٠ – ٣٨٦ ص

قيمة الكتاب في انه وضع في وقت دخلت فيه موريتانيا عالم الوجود. ففصل في معلومات شتى ما اوصله الينا التاريخ العام وادخل اختبارات شخصية تنمّ عن حماس سياسي اكثر منه علمي للدفاع عن استقلال تلك البلاد او ادماجها بالمغرب .

قلم سيّال وروح فيّاضة. كان على المؤلف ان يردع الواحد ويوجّه الاخرى، فكان توصّل الى درس عميق فيه المعلومات الضافية عن البلاد التي يتكلم عليها نقلًا او اختبارًا . ولم يتوخَّ المؤلف الطريقة العلمية وهو لم يُرد ذلك فاضفى على كتابه مسحة الواقعية وفي هذا نجح .

يمرّ المؤلف بالجغرافيا ويتابع سيره في التاريخ وبعد ذلك يستخلص العديد من الملاحظات عن العقلية هناك ويستمرّ، دون خطط دقيق يتّبعه، في التنقيب فيصل الى تحليل اللغة التي يستعملها الموريتانيون . وهكذا يعجب القارئ بنفحة فتيّة تمرّ على هذه الصفحات لما وضع فيها المؤلف من حماس ومن ثم ينهض الى تحديد بعض المشاريع السياسية والاقتصادية ليكتمل الصورة التي اراد رسمها لتلك البلاد. ولكن اتكتمل الصورة دون ان يعود المؤلف ويؤكد ان القومية العربية هي التي عليها ان تحتضن بلاد موريتانيا .

هذا بعض ما في الكتاب المتشعب الطرق انما علينا ان نزيد ان هذا التشعب توحّده عاطفة المؤلف الجامحة نحو بلاد احبها .

ا. ع. خ

Charles Mœller : *Littérature du XXe siècle et Christianisme.* I — *Silence de Dieu*, 430 pp. —II-*La foi en Jésus—Christ*, 352 pp. — III — *Espoir des hommes*, 500 pp. — IV — *L'espérance en Dieu. notre Père.* — Paris. Casterman, 1959, 1960.

في زحمة الاحداث العالمية وضوضا. الفكر وتخبّط انسان اليوم بين طيّات المادية ونكران وجود الله تيّارات واسعة الارجا. تجمع بين مؤلفين ابوا ان يسيّروا في عالم هم فيه ضيره ووعيه وبين آخرين احبوا المأساة فعاشوها واستسلموا للنتائج ولكنهم في دركات الجحيم الذين ارادوه لهم مسكناً لم يستطيعوا ان يتخلوا عن انسانيتهم بما فيها من ترقٍ الى الله وشوق متزايد من خلال اللذة ونشوة النكران .

فها هوذا المؤلف الذي يدين له العالم اليوم بفكرة واسعة وعقل ثاقب احب ان يعبر كتابات اولئك وهؤلا. الانتباه الكافي فاستمع الى اقوالهم وكانها في سرد ما هو بعيد عن الله وعن الحياة الروحية قد نسوا انهم الى المادة يترقون فتركوا للقلم ان يوصل الينا اسفهم وحزنهم والمهم العميق للابتعاد عن غاية حياتهم واملهم الوحيد .

ففي كتابه الاول على سكوت الله لم يخف المؤلف من ابداء الآراء والاحكام المسيحية على كتّاب هذا العصر . والاحكام هذه لا تنمّ عن قصر نظر بل بعكس ذلك قد تفهّم المؤلف ما قرأه وشرع بيضعه يشقّ طريقه نحو التفسير والحكم . اذ هو لاهوتي واديب اجتمعت فيه صفات هذا وذاك اي صفات القارى. اللبيب الذي يستخلص المقاطع الحاسمة من قرآآته ويجليها بنقد لا يعرف اللذع انما يوقظ عند القارى. الحكيم ذلك الميل للجدل مع المؤلف او مع من يتكلم عليهم . ومن هذا الحوار العقلي ينتج النور الذي يساعد في اتباع الطريق التي لا تقلّ وعورة عن اي طريق جديد يفتحها المؤلف بصبر الحكيم وبهجة الكاهن الذي يعلم انه عند الكلام على الآخرين عليه ان يظلّ كاهناً. فثقافته واسعة وقوة تفهمه الامور عظيمة ولقد اتى في هذا الكتاب الاول على ذكر كامو وجيد وهركسله وسيمون قايل وگراهام گرين وجوليان گرين وبرنانوس . يذكر منهم مقاطع وكانه اختار احسن ما في الكتاب وهذه المقاطع تكفينا لتفهم موقف هذا او ذاك .

اما الكتاب الثاني فاتى على درس الايمان وهناك في الاوساط العقلانية مبدأ لا يتجزأ يقضي بنكران الروح او ما يعلو العقل البشري ويدير بالانسان بين ظلمات العقل او تبجحه الى ان يصل به الى هتك الاخلاق والى التدهور الاناني. ولذا فانه يذكر سارتر وما آل اليه من جحد بوجود الله وكيف توصل الى ذلك من خلال تحليل مفهوم الحرية التي ترضى بالخالق ولا بالله. وذهب بعد ذلك الى الكلام على هنري جامس واظهر ما عنده من حنين الى الكنيسة الكاثوليكية وما هي اليوم قوة الروحيات على عقول المؤلفين الذين لا يكتبون حرفاً دون ان يفكروا بالله او بالشيطان. فالله والشيطان دخلا صفحات الادب المعاصر وهذا ما يدل على ان النفس العصرية حائرة الى ان تثبت في الله. فينتهي المطاف بالمؤلف الى ان يدل على طريق الايمان، طريق الخلاص. وينتقل بعد ذلك الى درس الكاتب مارتن ده جار ويحدثنا عن مشاكل الايمان وضيعانه، عن الخوف وصلته بالايمان، عن الموت ومفهومه في المسيحية. ومن خلال هذا الافكار والتحاليل تبدو صورة الكاتب الذي يكلمنا عليه ونصل الى ذلك القول، قول اللاهوتي البارع ان العودة الى الايمان لن تكون عودة عودة اجزاء الانسان المعروفة عقله او حريته او جسمه. فالعودة تقضي ان يعود الانسان بكامله اذ الايمان خطوة حرّة وان كان نعمة الهبة.

ويعود المؤلف فيكلمنا على ما ليج ويغتنم الفرصة السانحة ليحلل ما يقتضيه الايمان من نعمة الهبة ومن توق داخلي ومن عناصر خارجية وبراهين تقود العقل رويداً رويداً الى ان يفهم ان هناك عالماً يفوقه وعليه ان يسجد راكعاً بتواضع وانكسار طالباً معونة الله ومساندته. في هذا القسم براعة حقيقية وروح المؤلف في مظهرها الجلي. ففي اسلوب سلس يُدخلنا في اعماق الضمير والوجدان ويقودنا الى الاختبار الذي قام به هو نفسه فنتحسس ما شعر به هو وكأن النفس معه ومع ما ليج تجوب اجواء ابعدتنا عن الارض ولكنها انارت سيرها على هذه الارض.

وفي ختام هذا الكتاب الثاني كلمة على مسؤولية المسيحي لو انتبه اليها القارىء. وعاد فتتبع المؤلف في تحليل تطوير الايمان من الفتوة الى الرجولة. وفي كل هذه الصفحات نفحة ايمان تخلّف بعدها فرحاً في المؤمن وحنيناً عند الغير المؤمن.

أما في الكتاب الثالث فلقد طرق المؤلف موضوعاً نراه مرسوماً على وجوه الناس الا وهو امل الانسان : الامل الذي يكاد يهجر نفوسهم في عالم طغت فيه المادة وسيطرت على الانسان فصار آلة تستعمل لا تلك الخليقة التي ولاها الله كي تعطي المخلوقات اسماءها. ولذا ففي هذا الجزء من مجموعة شارل مولر نرى اكثر مما في الجزئين الاولين تفسيراً مسيحياً لنزعات الانسان وفي ذلك ما فيه من مقدرة اللاهوتي وثقابة نظر الاديب فيبينا ما نستطيع ان نستخدمه لننير الطريق في درس مؤلفي اليوم. اذ ان المؤلف لم يرد ان يكتب كتاباً لاهوتياً ولا كتاباً فلسفياً ولم يرد تأريخ الآداب بالاجمال انما جرب ان يبينا طريقة تفكير على بعض النصوص التي تميز روح العصر والتي تصف وصفاً دقيقاً انسان القرن العشرين .

ولقد درس المؤلف في هذا الجزء نفسية مالرو من خلال مؤلفاته. فانه وان يحبذ الفن ويرى فيه غاية الحياة فلقد نشعر من خلال السطور والصفحات بتلك الوحدة التي يتخبط فيها بين الايجاب والنفي بين المواقف المتناقضة بين العودة الى الارض والالتصاق بها وبين التوق الى علُ. فيعود المؤلف ويدرس كفكا وغيره من الكتاب كفرنسواز ساغان او مونيه وعندهم جميعهم يقف وقفة المحب الذي يريد ان يجد الانسان فيهم من خلال مواقف تحجرت مرات ومرات ضلّ به القلم وارانا من وراء ستار حديدي نور نفس تتألم وان تمرغت في وحل الرذيلة . ويتخلص المؤلف الى القول بان كل انسان ضعيف وعليه ان يسند ضعفه بقوة الاله المسيح .

اما الجزء الرابع فانه يكلمنا على الرجاء بالله ابينا . يجعلنا فيه المؤلف حيارى بين تيار اونامونو وتيار مرسل وتشعر بجفا الاول وبنضارة الثاني، فننفر من الاول ونُساق وراء الثاني وقد خُلق الانسان للرجاء لا لليأس والقنوط . ولذا فمع دو بوس نسير وراء الرجاء ذاك فيوصلنا الى الله الحي ومع بيچي نرى ان في الرجاء المحبة وهي غاية الانسان القصوى .

***

فبعد هذه الجولة العابرة نشعر بانه ليس من الممكن ان نلخص كتباً كهذه ملأى درراً . فللمؤلف الشكر وقد ادخل في النقد الادبي ميزة خاصة الا وهي

تفهم افكار الكتاب والسعي وراء خلاصهم من ربقة المادة وان ارادوا ان يوهموا القارئ بذلك فهم بشر ، وطالما عاش الانسان في اعماق الرذيلة يتوق الى فوق ومن اسفل دركات الشر لا يسعى الا الى الله . ولكن على المؤلف اذاك ان يظل واعياً كي لا يترك تفوته تلك الجملة او تلك الكلمة التي تحمل من فم الكاتب ومن قلبه خاصة امل الانسان ونبضات قلبه الذي تراكمت عليه الاغلال دون ان تقتل فيه يد مبدعه وتلك الصرخة اليه التي هي الانسان بالذات .

ا. عبده خليفه اليسوعي

J.-Ch. Didier : *Le Chrétien devant la maladie et la mort.* — Coll. Je sais — Je crois. — Lib. Arthème Fayard — Paris 1960, 124 pp.

في فصول قليلة توصل المؤلف بعلمه وسعة اطلاعه ان يحصر القديم والحديث مما قيل في المرض والموت فاعطانا ضمة لاهوتية قيمة عن السر الذي يحول صعوبة الساعات الاخيرة فتصير نيّرة مفيدة ويجعل الموت الذي هو نهاية مسرحية الحياة بدء حياة حقيقية. فالمسيح قد قام وقد خاب الموت في تسلطه على بني الانسان. فالمعمودية تدخلنا في سر موت وقيامة المسيح الاله وبها تغيّر كل شيء ، حتى موقف المسيحي من الموت ومن المرض . فموت المسيح صار سراً ناجعاً ، ولذا فعلينا ان ننظر الى موت ومرض المسيحي بعين المؤمن .

ولقد تتبع المؤلف النصوص الكتابية والتاريخية والطقسية واعطانا حزمة ضمّت ما يهم المؤرخ واللاهوتي فأتى كتابه وافياً دقيقاً .

ا. ع. خ